أنوار السالكين

تأليف

بدر المبارك

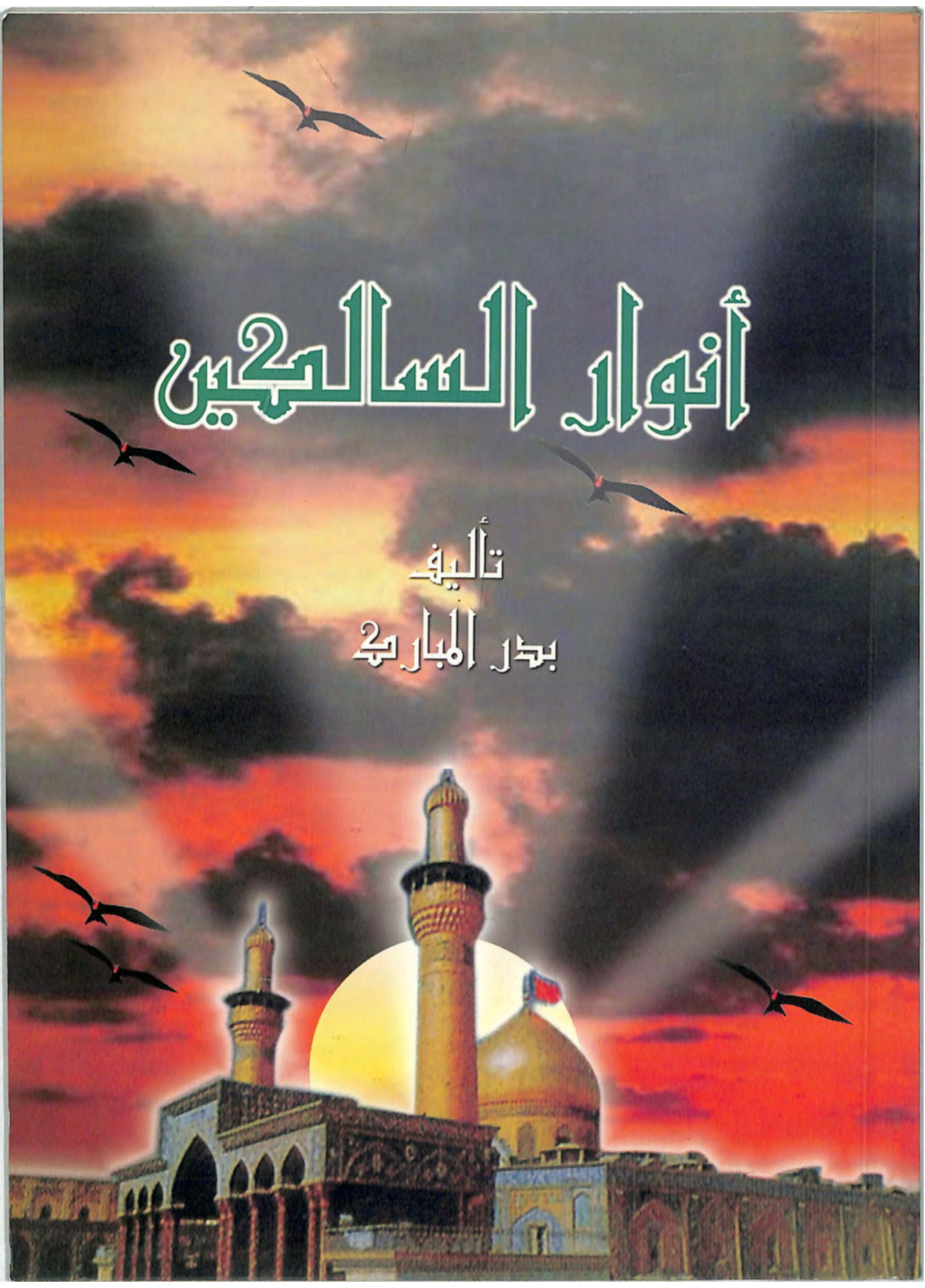

الأوحد
موقع الأوحد
Awhad.com

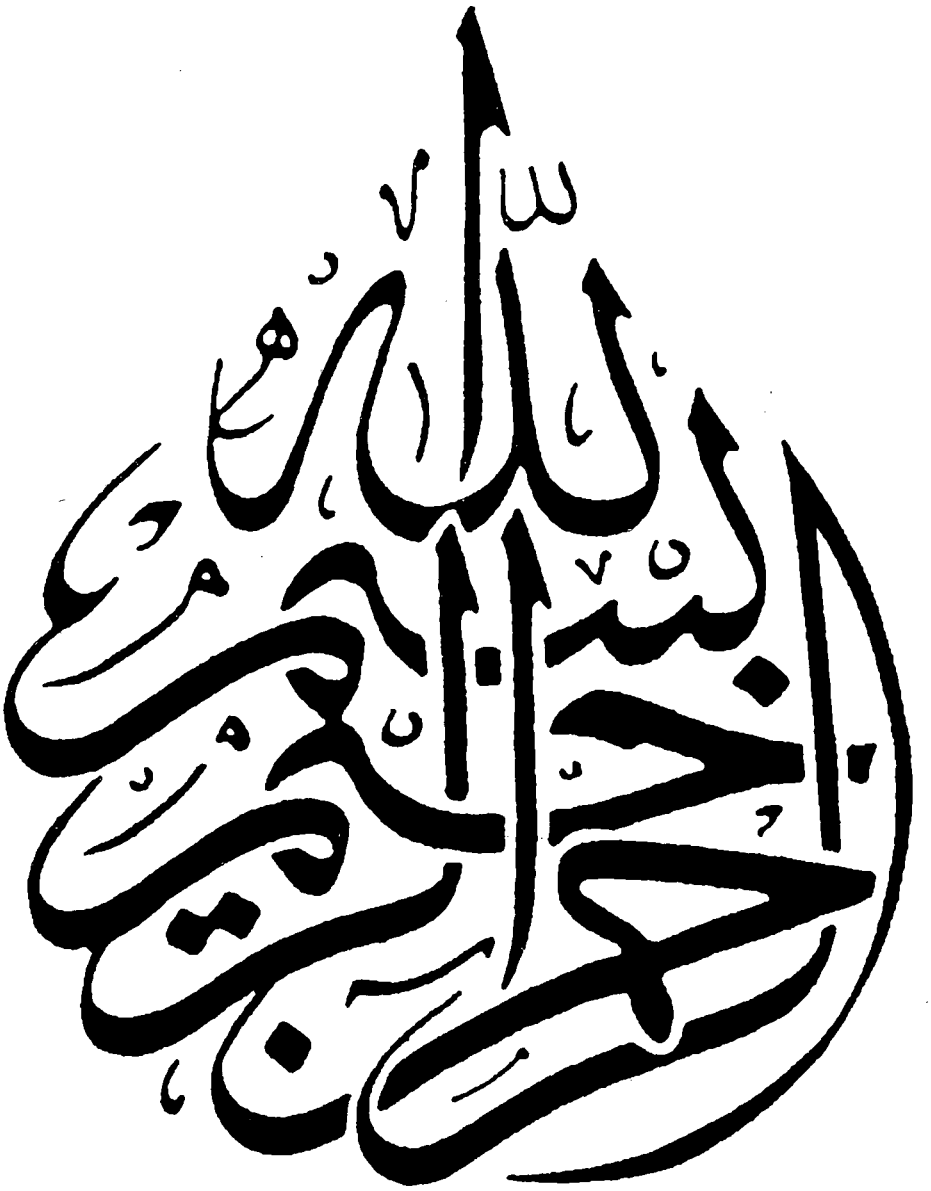
بسم الله الرحمن الرحيم

هويّة الكتاب

- **الكتاب** : أنوار السالكين
- **المؤلف** : بدر فاضل المبارك
- **اشراف** : الشّيخ عبد الكريم العقيلي
- **الناشر** : مؤسسة بنت الرّسول صلى الله عليه وآله لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام
- **الطبعة** : الأولى
- **العدد** : ٢٠٠٠ نسخة
- **السنة** : ١٤٢٢ هـ.
- **صف الحروف والإخراج الفني** : أبو زمان الأنصاري

« حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله »

الإهداء

-إلى ابنة رسول الله ﷺ وبضعته .
-إلى حليلة أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته .
-إلى أم سبطي رسول الله ﷺ وعترته .
-إلى النور وابنة النور وحليلة النور وأم الأنوار عليها السلام .
-إلى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين .

﴿أهدي هذا الكتاب (أنوار السالكين) باكورة أعمالي لعل الله تعالى يتقبله مني بقبول حسن ويجعله في ميزان أعمالي يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾

مقدمة النّاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ياأيها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ....﴾

النساء /٥٩

وقال تعالى :

﴿إنما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاة ويُؤتون الزكاة وهم راكعون﴾

المائدة /٥٥

وقال رسول الله ﷺ:« عنوان صحيفة المؤمن : حبّ عليّ بن أبي طالب »

تاريخ بغداد : ١٧٧/٥

وقال ﷺ:

﴿ من سّره أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي ، فليوال عليّاً من بعدي ، وليوال وليّه ، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، رزقوا فهماً وعلماً ، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم الله شفاعتي ﴾

حلية الأولياء : ٨٦/١

إن هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ الكريم ، هو جهود كريمة ومشكورة لأحّد السالكين ، الموالين لأهل بيت الرسول ، صلوات الله عليهم أجمعين والذي وضع فيه النّقاط على الحروف ، وأنار في مفرداته الطّريق للسّالكين في رحاب أهل بيت النبوة ....

لذا يسر مؤسسة بنت الرسول ﷺ لاحياء تراث أهل البيت عليهم السلام،أن تقوم بنشر هذاالكتاب،وتكون بهذا قد أرفدت المكتبة الإسلامية الولائية بإنجاز مبارك ، يسلط الأضواء على الجوانب المشرقة من حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وازالة الشّبهات والغموض الذي اكتنف عقول البعض في هذا الجانب .....

ولا غرو . فإنّ مؤسستنا رائدة في مجال التّعريف بنهج وفكر الأئمة الهداة ، صلوات الله عليهم جنباً إلى جنب مع كلّ الخيرين الّذين يمارسون هذه المهمة الشريفة.....

فنظرة سريعة لاصدارات مؤسستنا - رغم حداثتها - توصلك إلى ذلك.....

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل ،والدعاء الوفير لكلّ من ساهم في إعداد هذا الكتاب ، ونخصّ بالذكر سماحة الشيخ المحقق ، **عبد الكريم العقيلي** الذي أشرف على هذا الكتاب مشكوراً ، وكذا الأخوة الموالين ، المحققين الأخ **أبامهدي الزيدي** ، والسيد **أبا محمد علي العسكري** ، والأخ **أبا رضا العقيلي** ، والأخ **حسن الخراط** على جهودهم الكبيرة في إعداد الكتاب ومقابلته وتخريج نقوله القرآنية والحديثية وعمل الفهارس العامّة له ، فجزاهم الله خير جزاء .....

والله نسأل أن يسدد الخطى ، ويطيّب المسعى ، وهو الغاية القصوى .

مؤسسة بنت الرسول ﷺ

لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أنوار السّالكين إسم لكتاب هو باكورة أعمال الشاب الفاضل المؤيد بتأييدات الله -تبارك وتعالى- في مجال التأليف والتصنيف، أعني به الشيخ **بدر فاضل المبارك** وفقه الله لمراضيه وجعل مستقبله خيرا من ماضيه ، ضمنه مجموعة نافعة من خواطره و محفوظاته ومفهوماته عن الحقيقة والوصول إليها والتمسك بها والتعلق بأهدابها .

وقد نحا في ذلك نحو الحكماء الذين أخذوا الحكمة من أقوال أهل البيت واقتدوا بأقوالهم وأفعالهم ، ولم يركنوا إلى عقولهم أو عقول من سبقهم من المتصوفة القائلين بوحدة الوجود أو بوحدة الموجود الذين ينتهون إلى القول بأن وجود الحق و وجود الخلق من نسخ واحد وأنهما في التمثال كالثلج والماء ، فقد قال شاعرهم في ذلك :

وما الناس في التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذي هو نابع

فقد اعتمد المؤلف - حفظه الله - في كتابه هذا - الباكورة لأعماله - على أقوال الحكماء ، مثل الشيخ أحمد الأحسائي ، والسيد كاظم الرشتي ، والشيخ محمد تقي المامقاني أعلا الله مقاماتهم . واستند - أيده الله - إلى الصحيح المتواتر من الأحاديث المروية في كتب الحديث المعتبرة ، **مثل من لا يحضره الفقيه ، والكافي ، وبصائر الدرجات ، وصحيفة الأبرار** ، وغيرها . فلا غرو أن جاء كتابه هذا الذي بين يدي القارئ نمطاً في السلوك ، متفقاً مع الذوق السليم

والفطرة المستقيمة ، والعقل المروض بالعبادة والأدعية واقتفاء آثار أهل بيت العصمة عليهم السلام

وقد اعتمد المؤلف - حفظه الله - في تدوين مطاليب الكتاب على دليل الحكمة الذي هو الطريق القويم إلى معرفة الحقيقة و ركون الفؤاد إليها ، بعكس دليل المجادلة بالتي هي أحسن الذي لا يصلح إلا لإسكات الخصم والتغلب عليه ، فيما تثار فيه الخصومة معه ،ولا ينتج من هذا الدليل الركون إلى الشيء ولا الإقتناع بالفكرة ولا الإيمان بالمطلب ، وإن أقصى ما يوصل إليه دليل المجادلة - إن كانت بالتي هي أحسن - هو الظن الراجح مع إحتمال الخطأ والتصديق للخصم مع احتمال الخطل والزلل .

لذلك فقد تجنبه المؤلف راشدا لأنه لا يصلح للوصول إلى الحقيقة التي هي معرفة الله تعالى عن طريق التفكر بالآيات من الآفاق والأنفس ، والإعتماد على كتاب الله - عز وجل -، واتباع أقوال الأئمة عليهم السلام ، وهي كلها وسائل تفيد العلم واليقين ، و تقود إلى القناعة النفسية ، ورضا الضمير ، وراحة القلب والفؤاد. لأن معرفة الله - عز وجل - لايصلح معها الظن ، والوهم ، الخيال ، والتصور المشوش .

فلا يصلح للإستدلال على الحقيقة إلا دليل الحكمة ، وهو ما اعتمده المؤلف - حفظه الله - في هذا الكتاب **أنوار السّالكين** ، والله أسأل أن يوفقه ويهديه سواء الصراط ، إنه سميع مجيب .

صالح باقر السليمي

٢٠٠١/٣/٢٢

المقدّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين ، المنتجبين ، الذّين منّ الله علينا بهم ، فجعلهم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وأخرجنا بهم من ظلمات الجهالة إلى نور الهداية ، نحمده ونشكره على هذه الولاية .

وبعد :

أقول وبالله أستعين : لقد جاء في خاطري أنّ أكتب حول موضوع اليقين من حيث حقيقته ، وآثاره ، حتى يستلهم السّالك إلى الله نور مواليه الكرام البررة ، وما رسموا للإنسانية من تكامل وسمو للوصول إلى محبوبيّة الخالق عزّ وجلّ ،قال تعالى : ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله**﴾ (١)، مبتدئاً باليقين من حيث حقيقته وآثاره ، مع قلّة البضاعة وتشتت البال ، وما نراه في عصرنا هذا من الغفلة والإعراض عن حقيقة الهداية والرشاد، بسبب طغيان المادة ، وانشغال الناس بها بشكل أدخل في نفوسهم الشك والريب وعدم اليقين الكامل بالله تعالى ، قال تعالى :﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ (٢)

فالإنسان في هذا العصر قد يدعو الله ولكن قلبه ليس مع ربّه ، انما مع الأسباب الطّبيعية الظّاهرية ، التي هي بيد من بيده ملكوت السماوات والأرض ، والله تعالى أسأل أن يلهمني الصّواب ، ويجعلني وجميع المؤمنين والمؤمنات من المقتبسين من فصل الخطاب ، وإليه المرجع والمآب .

---

(١)آل عمران : ٣١

(٢) يوسف : ١٠٦

﴿متن الكتاب﴾

اليقين من حيث حقيقته وآثاره

قال تعالى:﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين﴾[١] .

إعلم أيّها السّالك ، الباحث عن حقيقة اليقين ومعناه لا بدّ لنا من الاستهلال بالآيات القرآنية ، والرّوايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطّهارة ، صلوات الله عليهم ، حتّى نستكشف المعنى المراد من اليقين . فإننا لو دققنا النّظر على هذه الحقيقة في كتاب الله وأقوال المعصومين ، صلوات الله عليهم ، لرأينا أنها تختلف حقيقةً وأثراً عن اليقين المصطلح في الفلسفة والمنطق . حيث ان اليقين فيهما يرتبط بعالم المفاهيم والألفاظ ، وينتج من خلال الاقيسة والإستدلالات العقليّة الظاهريّة ، ومن أهم خصائص هذا اليقين ، المصطلح والناتج من العلوم الاكتسابية هو : انه قد يغفل صاحبه عنه ، وقد يلتفت إليه . هذا اختلاف من حيث الحقيقة ، وأما من حيث الآثار ، فإنها قد تترتب فتنتج ولا تترتب فلا تنتج ، وهذا بخلاف اليقين الوارد في الآيات والرّوايات ، فاننا نجد أن له طريقه المخصوص للحصول عليه ، وهذا الطريق - كما تقدم في الآية المباركة من سورة الأنعام - هو مشاهدة الملكوت (رؤية الملكوت) ، حيث إنه لم تستنتج من خلال الاقيسة وترتيب المقدمات للوصول إلى النتائج ، كما في اليقين المصطلح في العلوم الإكتسابية .

(١) الأنعام :٧٥.

اذاً،الفرق بين اليقين المصطلح في الفلسفة والمنطق ، وبين يقين السّالكين هو:

أولاً :ان اليقين الأوّل - اليقين الفلسفي المنطقي - يحصل من خلال المقدّمات والأستدلالات العقلية أما اليقين الآخر - يقين السّالكين - فإنه لا يحصل إلاّبمشاهدة الملكوت .

وثانياً: ان يقين السّالكين هو عين الحقيقة ، بحيث لا يغفل صاحبه عن النّتائج المترتبة عليه ، وهذا بخلاف اليقين الفلسفي و المنطقي فإنه يقين ظاهري ، صوري ، قد يصيب الحقيقة وقد يبتعد عنها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى، فإنه قد يغفل عنه صاحبه وقد يلتفت اليه .

وثالثاً: ان اليقين الذي يحصل لأهل السلوك لا يوجد فيه أي شك وريب وتزلزل؛لأنه لم يستنتج من خلال الاستدلالات العقلية، إنما له طريقه الخاص به ، وهذا الطريق لا يحتمل الشك والريب والزلل والخطأ ونحو ذلك ، هذا بخلاف اليقين الجدلي القياسي ، فانه بمجرد أن يحصل خلل في المقدمات يحصل خلل في النتائج المترتبة عليها ، وحتى يتضح مطلوبنا لا بد أن نبين أقسام المعرفة لله سبحانه وتعالى. اعلم يا موالي ، أن تلك المعرفة التي يمكن أن تصل اليها أفهام البشر لها مراتب شتى ، ودرجات متفاوتة ، وأن مراتبها مثل مراتب معرفة النار[1] مثلا . هذه النار التي أنا وأنت نعرفها لظواهرها يمكن أن نتعرف على حقيقتها من خلال طرق متعددة . فأدنى تلك المراتب أن يسمع سامع أن في الوجود شيئاً يعدم أي شيء يحاذيه ، ومن خصائص النار إنها تحرق كل شيء يحاذيها ، وهذا الفرض قائم على أن الإنسان لم ير النار ، ولم يعلم أنها معدمة لكل شيئ ، ولكن سمع أن هناك موجودا يعدم كل شيئ ، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه ، إذا وجد المقتضى وانعدم المانع فإنّ أي شيء يقترب من النار تحصل

(١) نقلنا هذا الاستدلال -بالمضمون -من رسائل الشيخ حسن زاده آملي فراجع .

له الحرارة ، لأن خصائص النار الحرارة ، وأي شيء أُخذ منها لم ينقص من خصائصها شيء . قد يتوهم قاصر عن درك الحقائق ، أنه كيف يتصور أن الله تعالى يعطي من خزائنه العالمين ، ولكن هذه الخزائن لا تنقص ؟ فنقول لهذا القاصر : قد ورد في حديث قدسي **﴿إنّي أنا الله لا ينقص خزائني ، ولا يغني نائلي ولوجعلت الجنة لعبد من عبادي المؤمنين لم ينقص ذلك من خزائني ، قليلاًأو كثيراً﴾** (١)

وكذلك ورد عن الإمام الحجّة-عجل الله فرجه -أنه قال:إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول في دعائه : **﴿يا من لا يزيده كثرة العطاء الا سعة وعطاءً، يامن لا ينفذ خزائنه ﴾**(٢)

وكذلك ورد في دعاء الإمام الحجّة (عج) : **﴿ولا يزيده كثرة العطاء إلا كرماً وجوداً﴾**(٣) أيضاً نردّ عليه بمثال النار وهو أن أي شيء أُخذ منها لم ينقص من حقيقتها ، فافهم ، ويسمى ذلك الموجود ناراً، إذاً قد يسمع هذا الإنسان بأن في الوجود مثل هذا الموجود .

فهذه معرفة ولكنّها أدنى درجات المعرفة ، ونظيرها في معرفة الله تعالى ، معرفة المقلدين ، الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجة أو على الدليل النظري ، بل سمعوا أن هناك دينا ، وأن هذا الدين يقول : أن هناك خالقاً، وأن هذا الخالق له صفات معينة، وهذه أدنى درجات المعرفة، ولعل الكثير مُبتلى بهذه الدرجة .

---

(١)مهج الدّعوات لا بن طاووس :٢٨٧(الأعلمي - بيروت) ، عنه بحار الأنوار : ٩١/٤٠٠ (دار إحياء التراث العربي)

(٢)الغيبة للشيخ الطوّسي : ٢٦١(مؤسسة معارف اسلامي) ، عنه بحار الأنوار : ٥٢/٧.

(٣) مقطع من دُعاء الافتتاح . أنظر مصباح المتهجد للشيخ الطّوسي :٥٧٨(فقه الشيعة) مصباح الكفعمي :٧٧٠ (الأعلمي - بيروت) ، ضياء الصالحين : ٤٤ (دار البلاغة) .

وأما الدّرجة الثانية من المعرفة ، ففي مثال النّار ، مثلا فإن من وصل إليه دخان النّار ، فهو ليس فقط يسمع أنّ هناك موجوداً يدعى ناراً. بل رأى أثر النّار، وهو الدّخان ، وهذه المرتبة من المعرفة المتعارفة ، الموجودة عندنا ، وهي أننا نقف على مسرح الكون ونشاهد عظمة الله وسلطانه من خلال آياته المعروضة في الآفاق والأنفس قال تعالى :﴿**سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ .(١)

وهذا العلم حاصل من علم هذا الإنسان أن لهذا الأثر مؤثراً وهو النّار،ونظير هذه المعرفة بالله تعالى ، معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصّانع ، فهذا برهان على مستوى النظريات والألفاظ ، وقد أشرنا فيما سبق أن هذه البراهين قد يقع الخطأ فيها ، وقد يغفل عنها ، وقد تترتب الآثار عليها وقد لا تترتب.

وامّا المرتبة الثالثة من المعرفة :من أحس بحرارة النار بسبب مجاورته لها ، وشاهد الموجودات باضاءتها فإنه بحسب الواقع الموجودات مظلمة ولكن إذا وجدت الأضاءة بسبب النار فإن الإنسان تحصل له القدرة على أن يرى الموجودات ، ويتعرف عليها ولكن من خلال النور الكاشف لها ، وعندما نقف عند هذه النقطة نسأل سؤالاً وهو : أن هذا الإنسان لو أقيم له ألف دليل نظري على أن النار باردة وليست حارة . أيشك في حرارتها أولا يشك؟

يغفل عن الحرارة مادام مجاورا لها أو لا يغفل ؟

الآثار المترتبة على النّار ، من الحرارة والإضاءة ، وأن يرى الأشياء بنورها ترتفع أولا ترتفع ؟ فافهم . ونظيرها في معرفة الله تعالى ، معرفة المؤمنين الخلّص الّذين أطمأنت قلوبهم بالله ، وتيقنوا بأن الله نور السماوات والأرض ، وهنا لا بد

(١) فصلت :٥٣.

أن نبين ما المراد بالنور الذي يتجلّى به سبحانه لعباده ، حتى يعرفونه ويتيقنوا أن بيده ملكوت السماوات والأرض ؟

نقول في الجواب :إن الله سبحانه وتعالىما خلق الخلق إلا لمعرفته وعبادته ، كما قال تعالى :﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[١]ومعرفة الله تعالى لا تكون إلا عن طريق آثاره وأفعاله . فكل ما في الوجود الحادث آيات ودلائل تدل عليه تعالى ، ولكنها لا تحكي المعرفة الكاملة لله تعالى ؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وهذه الآيات المطروحة على مسرح الكون مركبة ، بعضها يشبه البعض الآخر. لذا كانت هذه المعرفة المستوحاه من الآيات الكونية والأنفسية لا تعدّ معرفة حقيقية . إذاً وجب في الحكمة أن يجعل من خلقه مثالاً ومناراً ودليلاً يدل عليه ، بحيث يكون هذا المثال ليس كمثله شيء حتى يمثّله ويحكيه بأنه ليس كمثله شيء[٢] ، وليس في الوجود شيء ليس كمثله شيء عدا معرفة النفس الناطقة ، التي من عرفها فقد عرف الرب. قال أمير المؤمنين عليه السلام :﴿ **من عرف نفسه فقد عرف ربه** ﴾.[٣]

فالذي يروّض نفسه بالعبادات ، من عمل المستحبات ، وترك المكروهات ، ويصل إلى معرفة النفس حينئذ يعرف الرب . ولكن معرفة الرب ليس المراد منها معرفة ذاته سبحانه ، بل المراد من معرفة الرب ، هو معرفة المثال الملقى في هوية العبد ،وهذا المثال يحكي صفة الرب ، من كونه ليس كمثله شيء . فهذا المثال الملقى في

---

(١) الذاريات :٥٦

(٢) اقتباسأمن قوله تعالى في سورة الشورى :١١.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة : ٤٤٩/٢٠. وكذا أورده العلامة المجلسي في البحار : ٣٢/٢ح٢١، والسيوطي في الحاوي للفتاوى : ٤٢١/٢(مطبعة السعادة بالقاهرة ، كشف الخفاء للعجلوني : ٢٦٣/٢ (دار التراث العربي) ، الهروي في الأسرار المرفوعة : ٣٥١(مؤسسة الرسالة بيروت) .

هوية العبد هو مثال مخلوق لكنّه أعلى مراتب المعرفة والكمال ، وهذا ما سيتضح لك أيها السالك إلى الله من خلال أبحاثنا اللاحقة ، فتفطّن .

وهذا المثال هو من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان . كما قال الإمام الحجة بن الحسن ، عجل الله فرجه ، وارواحنا فداه ، في دعاء رجب :﴿**اللّهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك ...فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركانا لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان . يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها ، إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها اليك**﴾ (١)

فيجب أن يكون هذا المثال المحدث أفضل الخلق وأشرفهم وأقربهم إلى الحق سبحانه وتعالى ، بحيث لا يوجد في جميع الكائنات موجود أشرف وأكمل منه؛لكي يكون معرّفاً للحق تبارك وتعالى، بإنه ليس كمثله شيء. فتعال معي ننقب في الكتاب والسنة والإجماع والعقل السليم،لنرى من أشرف وأكمل وأفضل خلق الله تعالى ؟ فإذا أمعّنا البحث ، فلن نجد في جميع الموجودات خلقاًأشرف وأفضل وأكمل من محمد وآل محمد ، عليهم آلاف التحية والثناء ، وذلك لكونهم علة ايجاد الكائنات ، من الأراضين والسماوات ، فهم عليهم السلام المثال الملقى في هويات الخلائق ليعرفوه بأنه ليس كمثله شيء. (٢) وهم ، عليهم السلام ، النور الذي أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره ، فالله برأ بهم عليهم السلام الخلق ؛ لأنهم نوره المضيئ، ووجهه الذي أشرق على السموات والأراضين في عالم الأمكان والأكوان .

---

(١) أورده الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد : ٨٠٣ ، الكفعمي في المصباح : ٧٠١الشيخ عباس القمي في مفتاح الجنان : ١٨٥ ، في أعمال شهر رجب .

(٢) راجع لتوضيح المطلب كتاب فكر ومنهج للشيخ عبد الجليل الأمير : ٤٢.

ورابع مراتب المعرفة : من أحترق بالنّار بكليته وتلاشى فيها بجملته، في هذه المرتبة ، هذا الإنسان ليس فقط أحس بحرارتها ، بل وقع فيها ، مثل هذا الإنسان هل يحتاج على أن تقيم له دليلاً على أن النار حارة وليس باردة ؟ **﴿عميت عين لا تراك عليها رقيباً﴾**[١]

كيف يقال أنك غائب ؟!مثل هذا الإنسان يقول:لم أشك فيه منذ رأيته ، منذ رأيت نور الحق تعالى ، لم يطرأ عليّ أي شك أو ريب وتزلزل. فالإنسان إذا وصل إلى هذه المرتبة، يفنى في حب الله تعالى. بمعنى أنه لم ير ذاته ، إنما يرى نور الحق تعالى ، المتجلي في هويته بحسب قابليته وقدره ، كما قال تعالى :**﴿أنزل من السّماء ماءً، فسألت أودية بقدرها﴾**[٢] فهذا الظاهر الذي فيه الاستقلالية وفيه الشك والإحتياج إلى الدليل!لا يراه.

فالإنسان إذا وقف على باطن نفسه ، لا يمكن أنّ يشك في الله طرفة عين أبداً، بل ولا تنفك الآثار المترتبة على!هذه المعرفة . ونأتي بالمثال العرفي الذي يضربه أكابر العلماء!والحكماء وهو : الحديدة المحمّاة ، هذا المعدن يختلف عن حقيقة النار ولكن لما تضعه في النار تراه يتلاشى فيها ، ويصبح حالاً لصفاتها الفعلية ، من الإحراق والحرارة والإضاءة، بمعنى ، يكون هو هي وهي هو ، من باب التجلي والظهور الفعلي لا الذاتي ، فافهم .

وبذلك يظهر لك قول الإمام الصادق ، عليه السّلام : **﴿لنا مع ربّنا حالات يكون هو نحن ونحن هو إلا أنه هو هو ونحن نحن ﴾**[٣]

---

(١) اقبال الأعمال لابن طاووس : ٦٦٠ دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة ، مفاتيح الجنان : ٣٥٤(مؤسسة معارف اسلامي)

(٢) الرعد : ١٧.

(٣) انظر فصوص الحكم لابن عربي : ١/ ١٤٩ و ٢٩٥ (الهامش)

لإثبات استدلالنا لابد أن نتطرق لبحث الولاية التكوينية لعباد الله المخلصين ، الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [١] .وهم أهل بيت العصمة والطهارة ﴿ صلوات الله عليهم أجمعين ﴾

(١) إقتباس من قوله تعالى في سورة الأنبياء ٢٧.

الولاية التكوينية المطلقة للمعصومين عليهم السلام واستدلالاتها .

نرى في كلمات الأئمة ، عليهم السّلام ، لما يصفون هذه المرتبة يقولون: ﴿تخلّق ، تحقق﴾ ، إذاً فالإنسان قد يصل بحسب ترقية مراتب الكمال إلى التحقق بالصفات الإلهية ، ومن الصفات الإلهية أن تقول للشيء كن فيكون ، ولكن مع هذا الفارق : أن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون بالغنى، بالإستقلال،ولكن العبد عندما يطلق هذا الأمر التكويني فإنه يكون بإذن الله سبحانه وتعالى .

ودليل هذه الدعوة ، القرآن الكريم، كما قررت الآية في قوله تعالى : ﴿**أني قد جئتكم بأية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيّ الموتى بإذن الله**﴾[1]. فهذه الآية الكريمة صرّحت أن الذي يبرىء الأكمه والأبرص ويحي الموتى ويخلق الطير هو عيسى عليه السلام بنفسه ، فالله سبحانه وتعالى قد أعطى عيسى القدرة على ذلك [2] .

وذهب بعض المفسرين ، حيث :«بل يقدّره الله على أعظم من ذلك ، وما هو أشد امتناعا من ذلك ، وهو ايجاد الأرواح في أجسام يصنعها بيده كخلق الطير»[3] وهناك من اعتبر أن نسبة هذه المعجزات إلى عيسى عليه السلام نسبة مجازية ، فهو لم يفعلها بنفسه ، ولا قدرة له على مثلها

(١) آل عمران : ٤٩

(٢)راجع في ذلك تفسير القمي : ١/ ١١٠ (الأعلمي بيروت) ، كنز الدقائق : ٢/ ٩٠ . المطبعة العلمية ، قم) وغيرهما من المصادر .

(٣) تفسير المياشي : ١/ ١٩٧ (الأعلمي بيروت) .وأورد الشيخ الكليني في الروضة : ٢٣٧ – في حديث الذي أحياه عيسى عليه السلام – قريبا من ذلك فراجع .

، بل الفاعل هو الله تعالى مباشرة دون أي دور لعيسى عليه السلام في ذلك؛ سوى أنه يدعو الله تعالى .

هذا القول لا يستقيم مع ظاهر الآيات والأحاديث الكثيرة،وأمّا إذا أُريد بالمجازيّة ،أن ذلك إنما يكون بتقدير الله عبده على فعل الخوارق من باب قوله تعالى : ﴿ ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾[1].

قال الشيخ الطوسي (رحمة الله) في التبيان:«انما قيد قوله«فيكون طيراً»ب«اذن الله »ولم يقيد قوله : (أخلق لكم من الطّين كهيئة الطير) بذكر اذن الله ، لينبه بذكر الاذن أنّه من فعل الله دون عيسى، وأما التصوير والنفخ ففعله؛ لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر ، وليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً، فإنه لا قدر على ذلك أحد سواه تعالى ، وقوله :﴿وأحيّ الموتى بإذن الله ﴾ على وجه المجاز اضافة إلى نفسه ، وحقيقته أدعو الله باحياء الموتى فيحييهم الله فيحيون بإذنه »[2]. وتبعه على ذلك جمع من المفسرين .

ولكن التأمل في الآيات يقتضي غير ذلك لوجوه:

١-المجاز في الكلام يحتاج دائماً إلى قرينة، وآثار تدلّ عليه. وفي الإسناد المجازي تكون القرينة التي تدل عليه عادة قرينة عقلية، كقولهم :«أزدحم الشارع » فنحن نعلم أن الشارع يتحرك ولا يزدحم ،فعندما نسمع هذه الجملة يحكم العقل مباشرة إن الذي أزدحم هو السيارات والناس الذين في الشارع فحتى نعتبر الإسناد مجازياً لابد أن يدل عليه حكم عقلي.

مع عدم وجود هكذا قرينة يبقى الإسناد ظاهراًفي الحقيقة ، لا في المجاز . والأصل إذن مع الإسناد الحقيقي ، والمجاز هو الذي يحتاج إلى الدليل ، ومع عدم

---

(١) الأنفال : ١٧.

(٢) التبيان للطوسي : ٤٦٨/٢ (دار احياء التراث العربي)

وجـــوده - وهـــو كـــذلـــك كـــمـــا سيـتـضـح -نـحـمـله على الحقـيـقـة .
٢-قوله « **بإذن الله** » لا يصلح قرينة على المجاز،لأن أي شيء فرضته لايكون إلا بإذن الله تعالى ، حتى مثل حركة اليد ،قال تعالى:﴿**ما قطعتم من ليّنة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله** ﴾[١] وقال تعالى :﴿ **وما كان لنفس أن تؤمن إلاّبإذن الله**﴾[٢] وقال تعالى:﴿ **وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله** ﴾[٣] وغيرها من الآيات الكثيرة التي يتضح من خلالها أن إذن الله لا يعني فعله المباشر .
٣- من أعتبر أن قوله «**بإذن اللّه** »قرينة على المجاز ؛ لأنها أتت بعد قولهَ تعالى :«**فيكون طيراً**»ولم يذكرها بعد قوله تعالى:﴿**أخلق لكم من الطين كهيئة الطير**﴾ نقول : مجرد إتيانها بعد أحيي الموتى لا يعني أنّ متعلّقها الإحياء فقط ، بل لعل متعلقها كل قضية خلق الطير من أولها إلى آخرها ،أي قوله تعالى :
﴿ **أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً**﴾ بل إنّه تعالى قد صرح بذلك في سورة المائدة ،قال تعالى :﴿ **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني** ﴾[٤]
إذاً جعل الطين كهيئة الطير قيده تعالى «**بإذني** »كما قيّد فيكون طيراً، ولا أظن الشيخ «رضوان الله عليه »يقول بأن جعل الطّين كهيئة الطّير هو من فعل الله مباشرة ، وقد صرّح بأنّه ليس كذلك .

---

(١) الحشر : ٥.
(٢) يونس :١٠٠.
(٣) النساء: ٦٤.
(٤) المائدة : ١١٠.

ومع الملاحظة لهذه الوجوه لا يبقى مجال لما ذكره الشيخ الطّوسي رحمة الله .

٤- بالإضافة إلى ما تقدم - من أن قوله تعالى «**بإذن الله**» لا يدل على أن الإسناد مجازي ،وأن الفاعل هو الله تعالى - نقول :

إن هذه العبارة تؤكد أن الفاعل هو عيسى عليه السلام بنفسه مباشرة؛لأنّ الله تعالى له دور في الإحياء والإبراء على كلّ حال، ودوره تعالى إما أن يكون بالفعل مباشرة بدعاء عيسى عليه السلام ، أو بتقدير عيسى وامداده بالفيض ، لا جبر ولا تفويض ، وقوله : «**بإذن الله**» ينسجم مع الإحتمال الثاني؛ لأن الإذن يقع على فعل الغير كما هو واضح .

وإنما ذكر الإذن وكرره ، لكي لا تأخذ العقول هذه المعجزات ، وكأنّ النبي يفعله بقدرته الذاتيه من دون حاجة له إلي الله تبارك وتعالى فيها ، فيتخذوه إلهاً، كما حصل فعلاً في شأن أكثر من ولي من أولياء الله تعالى ، ومنهم عيسى نفسه .

وقد ذكر بعض المفسرين إنما كرّر «**بإذن الله**» دفعا لوهم من توهم فيه الالوهية [١].

الآية الثانية:- الدالة على الولاية التكوينية المطلقة - قوله تعالى :﴿**فسخرنا له الرّيح تجري بأمره رخآءً حيث أصاب**﴾[٢] .

هذه الآية الكريمة تصرح أن الأمر كان يصدر من سليمان عليه السلام ،إلى الريح مباشرة، وإنها كانت مسخرة له تأتمر بأمره .

بعد أن أثبتنا الولاية التكوينية لعباد الله المخلصين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، من خلال القرآن الكريم ، وأنه صرح بولاية الأنبياء التكوينية ، وتصرفهم في الكون ومجرياته بإعتبارهم تخلقوا ، تحققوا بصفات الله سبحانه

---

(١) راجع :كنز الدقائق : ٣/١٠٠ ، تفسير شبر : ٥٦. جوامع الجامع للطبرسي : ٢٨٩/١، الجواهر الثمين : ٢٣/١، بيان السّعادة : ٢٦٣/١٠

(٢) سورة ص : ٣٦.

ولكن قد يأتي قائل ويقول : إن الولاية التكوينية المطلقة غير ثابتة لدى المعصومين ، عليهم السّلام . يقول : إن القرآن الكريم يصرّح بعدم ثبوت مثل هذه القدرة للرسول ﷺ ، وأهل البيت عليهم السلام ، فهم في نظره قادرون على فعل المعجزات ، ولكن قدرتهم هذه ليست مطلقة تشمل جميع ذرّات الوجود ، ولا دائمة يستفيدون منها كلما أرادوا ، والله تعالى أعطاهم القدرة على بعض المعجزات الخاصة ، لتأييد دعوتهم ، وتأكيد رسالتهم .

سؤال : هل القرآن الكريم حقا يصرح بنفي مثل هذه القدرة عن الرسول ﷺ ،والأئمة الأطهار ، عليهم السلام ؟!.

للإجابة عن ذلك لا بدّ من استعراض الآيات التي يمكن أن يستفاد منها نفي الولاية التكوينية المطلقة بنظر البعض . ومعرفة مدى دلالتها على ذلك .

الآيات التي يمكن أن يستفاد منها لنفي الولاية التكوينية بحسب دعواهم هي:

الآية الأولى .قوله تعالى **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ❀ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً ❀أو تسقط السمّاء كما زعمت علينا كسفاًأو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ❀ أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السّماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً﴾**[1] .

ذكر البعض :أن المشركين اقترحوا على رسول الله ﷺ هذه المعجزات الست وأخبروا بأنهم لن يؤمنوا به حتى يأتيهم ولو بواحدة من هذه المعجزات الست ،فإن فعل واحدة منها ، آمنوا به ، وأن لم يمتثل لطلبهم هذا ، ولم يأتي بشيء منها لن يؤمنوا به على الإطلاق ، والرسول ﷺ ،أجابهم بهذا الجواب **﴿ سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾**.

(١)الإسراء :٩٠-٩٣

وهذا الجواب صريح في أنّ الأمور التي أقترحتموها خارجة عن قدرتي ، فأنا لست إلا بشراً رسولاً، لا أستطيع أن أفعل ما يقترحه المقترحون من المعجزات، إلا أن يأتي أمرالله تعالى بذلك مما يعني أن رسول الله ﷺ، لم يكن يملك القدرة الدائمة والمطلقة على ما يريد . (١)

يمكن أنّ نسجل على تفسير الآية بهذا الشكل والإستدلال بها ملاحظتين ، ولكن قبل الإتيان بهما نود أن نشير إلى هذه الحقيقة وهي :

اعلم ياموالي، أنه علينا أن نوضح في البداية حقيقة الإنسان ، والقدرة الجسمية، ثم نرى أن الرسول الأعظم ﷺ ،أي بشر كان !! لقد خلقت طينة الإنسان ، وحقيقته الجسمية - على مايصّرح به القرآن الكريم - من الطّين والتّراب ، وهذه الحقيقة لا مجال للمراء فيها ، اذ يصّرح القرآن بذلك في قوله تعالى :

﴿ إنيّ خالق بشراًمن صلصال من حمأ مسنون ❀ فأذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٢) إن قدرة الإنسان ومواهبه -هذا المخلوق الترابي - تتجلى في عالم الملك والناسوت ، ومهما أعمل جميع قواه ، التي منحه الله اياها فإنه لن يستطيع تجاوز حدودالمادة والجسم .ان مجال تحليق هذا الهيكل البشري ، هو الفضاءالناسوتي وحسب ، فإذا أراد الطيران إلى القمر، والمريخ والمشتري ، فإنه يستعين بالوسائل المادية ايضاً،نعم، يستطيع التّطلع إلى العوالم العلوية ، والتعرف على المقامات السامية ،ولكن ليس بهذا الجسم ، بل يحلق في عالم الجبروت بالعقل ، وفي عالم الملكوت بالروح والنفس القدسيين،اذ ليس للهيكل المادي ، والجسد الترابي مجال في تلك المناطق السامية ، وأخيرا فهذه طينة الإنسان ،وهذه قدرته .في حين خلقت الذات المحمديّة - باجماع المسلمين

(١) راجع في ذلك الإمامة وقيادة المجتمع للسيد كاظم الحائري : ١٢٧،

(٢) :الحجر:٢٨و ٢٩.

وتواترت الأحاديث بذلك - من نور الله جل جلاله ، وكان موجوداً قبل خلق آدم عليه السلام ، بل كان ممتازاًبالنبوة ايضاً في ذلك العالم .

أورد القندوزي الحنفي في ينابيع المّودة أحاديثاً في سبق نور رسول الله ﷺ جميع الموجودات منها : «**أوّل ماخلق الله روحي ، وأوّل ما خلق الله نوري ، وأول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**» . قال :المراد هنا هو الحقيقة المحمدية التي كانت مشهورة بين الكملين ، وهي روح نبينا ﷺ .وحديث :«**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**». فهذه وغيرها كلها دلائل على سبق نوره ﷺ على جميع المخلوقات . [1]

لقد أودع الله تعالى ذلك النور الطاهر ، والأنوار القدسية للمعصومين ، سلام الله عليهم أجمعين ، في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة ، فكانت تنقل من صلب إلى صلب ، حتى ظهرت بمظهربشري ، لأجل هداية الناس . وهذا ما نص عليه في زيارة الإمام الحسين المعروفة بـ(زيارة وارث) «**أشهد أنك كنت نوراًفي الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها.....**»[2] فلا مجال لإنكار الوجود المقدس لمحمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ، الذي خُلق قبل الموجودات ، بإرادة الله تعالى ، وقد طفحت المصادر الموثوق بها بذلك .

أورد الحكيم الكاشاني في كتابه «علم اليقين » فصلاً في بدء خلق النبي وآله،

---

(١)ينابيع المودة : ٤٦/١وانظر كذلك : مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشهوب : ٢٦٦/١ ، الدر المنثور للسيوطي :١٢٦تنزيه الشريعة لابن عراق : ٣٤١/٢ كشف الخفاءللعجلوني: ١٩١/٢، الأسرار المرفوعة للهروي : ٢٧١.

(٢)مصباح المتهجد : ٧٢١(مؤسسة فقه الشيعة) ، عنه مفاتيح الجنان : ٥٣٥(مؤسسة المعارف الإسلامية)

صلوات الله عليهم ، حيث قال :في كتاب نوادر الحكمة ، بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال :...«إن الله ، عز وجل ، خلق أربعة عشر نوراًمن نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عاماً فهي أرواحنا» [1].

فقيل له : يابن رسول الله ، فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟

فقال : محمّد وعلّي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين ، تاسعهم قائمهم .

ثم عدهم بأسماهم ، ثم قال :نحن والله ، الأوصياء، الخلفاءمن بعد رسولالله صلى الله عليه وآله ونحن المثاني الذي أعطاه الله ، عزو وجل ، نبينا صلى الله عليه وآله ...ونحن والله ، الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه .

«إن الله تعالى خلقنا ، فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه على عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطه عليهم بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتي منه وبابه الذي يدل عليه . .»[2]

وهكذا نجد أن الحقيقة النوريّة للرسول الأعظم واهل بيته ،صلوات الله عليهم أجمعين تختلف عن الطينة البشرية .

وقدرات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومواهبهم التي منحهم الله تعالى فهي عظيمة وسامية ، أفلا يكتفي اللّبيب - من تلك المجموعة الهائلة من الكرامات والمعجزات - بهذه العبارة «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[3] كيف يتصور قاصرأنّ ذلكمن اختراعات الشيعة؟!أو يزعم مقصر أنه من مجعولات الغلاة !

---

(١) في المصدر أربعة عشر عاماً والأصح ما اثبتناه كما في المصادر المعتبرة .

(٢)علم اليقين : ٧٩٨/٢ (انشارات بيدار) .

(٣)علم اليقين في اصول الدّين للكاشاني : ٥٠٧/١وانظر كذلك :كشف الخفاء للعجلوني : ٢٣٢/٢(مكتبة دار التراث -بيروت)، الفوائد المجموعة للشوكاني : ٣٢٦ينابيع المودة : ٢٤/١(دار الأسوة).

بل أن القرآن الكريم والسّنة الشريفة والعقل يقرّ ويوجب ذلك ، بحيث انّ الاعتقاد بهذا من ضروريات الدّين الحنيف ، ومنكره خارج عن ربقة الإسلام ، وحديثنا هنا مع المسلمين أنظر قوله تعالى:

﴿سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً،من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السّميع البصير ﴾.[1] وأيضاً انظر قوله تعالى:

﴿ والنجم إذا هوى ❀ ماضلّ صاحبكم وما غوى ❀ وما ينطق عن الهوى ❀ ان هو إلا وحي يوحى ❀ علمه شديد القوى ❀ ذو مرّة فاستوى ❀ وهو بالأفق الأعلى ❀ ثم دنا فتدلى ❀ فكان قاب قوسين أو أدنى ❀ فأوحى إلى عبده مآأوحى ❀ ما كذب الفؤاد مارأى أفتمارونه على ما يرى ❀ ولقد رآه نزلة أخرى ❀ عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ❀ اذ يغشى السّدرة ما يغشي ❀ مازاغ البصر وما طغى ❀ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى ﴾ .[2]

عقيدتنا أن الرسول الأعظم ﷺ ، حصل له المعراج بهذا الجسد المبارك واللباس الذي كان لابساً ايّاه ، والعمامة التي كان معتماً بها والنعل الذي كان منتعلاًبه ، لقد طوى عالم الامكان ، بدعوة من الخالق العظيم وقدرته كما تصرح به الروايات ، فإنه سار في ليلة واحدة ، بل ببعض ليلة من مكّة المكرمة إلى المسجد الأقصى ، من هناك إلى السّماوات وفلك الأفلاك ، وتجاوز حدود عالم الملك ، فقطع عالم الملكوت والجبروت ، وبلغ عالم اللاّهوت . فكلّم ربّ الأرباب . قاب قوسين أو أدنى دون واسطة جبرائيل وميكائيل واسرافيل قال تعالى:**﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ﴾**. لعله كان

إلى هذه

---

(١) الإسراء : ١.

(٢) النجم : ١-١٨.

المرحلة ، ترافقه الملائكة ، وأمين الوحي ، ففي بعض الرّوايات أنّ المراد من شديد القوى: هو جبريل . ولكن التفسير الأصح والمناسب لـ(شديد القوى) هو الله سبحانه وتعالى [١] لأنه (ذو القوّة المتين) .

ثم قال تعالى :﴿ ثم دنا فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . هنا تعدّى حدود الملائكة المقرّبين ، ودخل إلى حظيرة الخلوة الإلهيّة حيث ، لا أثر لسوى الله تعالى حتى حملة العرش تتدثر وتنمحي هنا ، ولاتستطيع أن تكسر هذا الحصار ، وتقترب أكثر . فقد قال جبرائيل :«لو دنوت أنملة لأحترقت »[٢]

فالحبيب بجسده المادّي ، وهيكله الظّاهري اقترب من جانب المحبوب ، وكلمه بلا واسطة قال تعالى :﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾.

ما الذي شاهده في ذلك الجو النوراني، والمحيطات الهائلة اللامتناهية ، من النور والضياء والعظمة ، وما الذي سمعه ؟

أنظر إلى القرآن فإنه يصّرح بذلك قال تعالى:﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ونحن نعلم أنه لا آيه أكبر من علّي عليه السلام [٣] وذاته المقدسه في حرم الكبرياء. إن بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله نافذة،لاترى إلاّ الحق فلا ريب هناك ، ولامين [٤] ولا زيغ، ولا ضلال قال تعالى :«وماكذب الفؤاد ما رأى »إن المعاند المفتري، وصدره الضيق هو الذي لا يحتمل الحقائق فيشك فيها . بينما يقول الباري تعالى :﴿أفتمارونه على مايرى﴾. ثم يجيب بصراحة ، قائلاًأنه لا يخطئ،ولم يزغ عن الحّق

(١) انظر تفسير القمي :٢/٣١١ ،الميزان : ١٩/٢٩.

(٢)مناقب آل ابي طالب:١/١٧٩ (دار الأضواء).

(٣)أورد الشيخ الكليني في الكافي الشريف :١/٢٠٧ ح٣ (دار الكتب الإسلامية)قال : عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر . عليه السلام ، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني ولله من نبأ أعظم مني .

(٤) المين :الكذب انظر لسان العرب :١٣/٢٣٦ (داراحياء التراث العربي).

قال تعالى:﴿مازاغ البصر* وماطغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾.إن هذا الوجود اللاّهوتي ، للرسول الأكرم ﷺ طوىجميع العوالم الأمكانية ،خلال ليلة أو بعض ليلة -على أختلاف التعابير في الروايات - بجسمة الشريف ولم يبقى موضع في عالم الأكوان ،إلا وطأه بقدمه الشريف .(١)اذاً أين مقام البشر ، من مقام خير البشر ؟!

ان الطينة النّورانية لرسول الله ﷺ والتي شاركه فيها علّي ،وفاطمة، وابنائهما المعصومين ، عليهم أفضل الصّلاة والسّلام ، هي الّتي خلقت من نور الله تعالى ، فعاد ذلك الوجود النوري ليصل إلى مقام (أو أدنى) من النّور الالهي ، الذي عمّ كلّ الوجود .

بعد أن بيّنا لك أيها السالك هذه الحقيقة اجعلها في فؤادك ، حتى تتكشف لك الحقائق والأسرار ، نعود الآن إلى بيان الملاحظتين لتفسير الآيات التي بينتها في الصّفحات السّابقة .

الملاحظة الاولى :

ذكر في الاستدلال أن المشركين طلبوا من الرسول ﷺ أن يأتيهم باحدى المعجزات، التي ذكروها له ﷺ لكي تثبت نبوته عندهم وقالوا له ﷺ ان فعلت لنا شيئاً من هذه المعجزات آمنا بك واتبعناك . وطلبهم هذا يحتمل فيه احتمالات :

أ-أن يكون طلبهم هذاقبل أنّ يأتيهم الرسول ﷺ بأي معجزة تثبت نبوته. ولكن سرعان ما يسقط هذا الاحتمال ، لأنه جاءهم قبل ذلك بمعجزات قطعاً. يكفيهم الآيات القرآنية النّازلة قبل ذلك، والّتي تشكل أهمّ المعجزات ، فرسول

(١)راجع في هذا المطلب كتاب : بحث حول الولاية من وحي القرآن للعلامة الميرزا عبد الرسول الاحقاقي : ١/١٧٣

الله ﷺ بسبب لطفه وشفقته على النّاس ، وحرصه علي ايمانهم لن يتركهم في ضلالهم ، دون أن يأتيهم بالمعجز الذي من شأنه أن يهديهم إلى الطريق الحق والصراط المستقيم .

ب- أن يكون طلبهم هذا بعد الاتيان بالمعجز - كما هو في الحقيقة - وطلبهم المعجزات بعد حصول الدالة على نبوته ﷺ أمّا أن يكون سبب عدم قبولهم بالإعجاز السابق ، واعتبارهم له أنه سحر أو ماشابه ذلك - والعياذ بالله تعالى - فطلبوا معجزة جديدة ليطمئنوا أنها ليست سحراً ليؤمنوا بها .

وأما أن يكون طلبهم لمعجزة جديدة مجرد جدل وعناد ، فلو استجاب لطلبهم لن يؤمنوا بها أيضاً، لأنهم لا يبحثون عن الحقيقة وانما يعاندون ويجادلون ، وسوف يبقون على عنادهم .

وعلى كلا التقديرين فجوابه ﷺ لهم ، بأنه ليس إلا بشراً رسولاً، لا يتناسب مع سؤالهم وحالتهم ، لأنهم كانوا مجادلين ، معاندين .

فالمجادل والمعاند لا يكون جوابه باظهار الضّعف وعدم القدرة.لأن هذا سيقوي جداله ويزيد من عناده .

وأن كانوا يعتبرون ما أتى به من المعجزات ليس إلا سحراً باطلا ، فكذلك سيكون نظرهم في أي معجزة يأتي بها ﷺ ، كما أخبر الله تعالى في كتابه :﴿**وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرمستمر** ﴾. [1]

وبناء على ذلك ، فليس المناسب في جواب هؤلاء أن يقول لهم عند طلب المعجزة :أنا لست إلا بشراً لا أستطع أن أفعل ماتطلبونه مني ، وكأنه جعل المشكلة فيه ، بل المناسب أن يجيبهم ، بأن المشكلة منهم ، وأنهم لن يؤمنوا مهما أتاهم بالمعجزات قال تعالى : ﴿**انّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك لا يؤمنون× ولو جاءتهم**

(١) القمر : ٢

كلّ آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾[١]

الملاحظة الثانية :

يحتمل أن يكون المراد من طلب المشركين أحد أمرين :

الأول : أن يكون مرادهم حصول المعجزة بما هي دالّة علىكونه ﷺ عبداً لله ، ورسولاً له، ومؤيداً من قبله ، كما كانت عادة الأنبياء ،الإتيان بالمعجزات لإثبات نبوتهم .

الثاني : أن يكون مرادهم حصول المعجزة بما هي كاشفة عن قدرة ذاتية للرسول ، وأنه ليس بشراً، بل فوق البشر ، أنظر قوله تعالى :﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً**)[٢]

وبناءً على الاحتمال الثانيلايتمالإستدلال عن نفي قدرته ﷺ على فعل المعجزات تلك ، فمن الطّبيعي أن يجيبهم حينئذ بقوله تعالي : ﴿**سبحان ربي هل كنت إلا بشراًرسولاً**﴾وأن يمتنع عن الاتيان بهذه المعجزات ، لأنّ الاتيان بها يعني ، ترسيخ ذلك الاعتقاد الخاطئ في نفوسهم ، وإقراره بصورة علمية [٣].

وأما الاحتمال الأول ، فيقتضي أن مطلوبهم، حصول المعجزات ،ولا يلزم أن يفعلها الرسول بقدرته الخاصة ، بل يكفي أن يفعلها الله تعالى تأييداً لنبوة الرسول ﷺ ، خصوصاًمع كون الجواب أتى من قبل الله تعالى ،قال تعالي :﴿**قل سبحان ربي ...**﴾لاحظ كلمة (**قل**) التي صدر بها تعالى الجواب ، لأنه

---

(١) يونس : ٩٦و ٩٧

(٢)الاسراء :٩٤و ٩٥

(٣) راجع منطلقات البحث العلمي : ٢٨

إذا أراد أن يجيبهم بنفسه قبل أن يأتي الوحي، فيمكنه أن يقول :أنا لست إلا بشراً رسولاً، والله تعالى لم يصل إذنه بعد بحصول المعجزة ، وعليه فيجب أن ينتظر الله تعالى يفعل أو لا يفعل ، فجوابه بالعجز الشخصي ليس جواباً بالنفي أو الايجاب ، وهو يتناسب إذا كان الجواب منه شخصياً، أما إذا أراد الله تعالى أن يلقنه الجواب فهو القادر على ما يريد قال تعالى :﴿**انمّا أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾[1] .فإذا وصلت المسألة إليه تعالى ، وتدخل بها مباشرة ، فمن غير الملائم أن يلقن رسوله ﷺ بأن يجيبهم بعدم القدرة ، لأن القدرة متحققة ما دام الجواب من قبل الله تعالى . وبملاحظة هذين الأمرين نقول :من البعيد أن يكون تفسير الآية بهذا الشكل الذي ذكره المستدلون وعندئذ فما هو المراد من الطلبات التي ذكرها المشركون ، وما معنى جواب الرّسول ﷺ : ﴿ **سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**﴾؟

---

(١) يس :٨.

حقيقة طلب المشركين

نحن لا نسلم أن ما طلبه المشركون هنا من الأمور الستة ، هو حصول المعجزات ، بل الذي طلبوه منه ﷺ أمور أخرى ، بل بعضها لم يكن إلا معاندة واستهزاء ، وبعضها الآخر كان المراد منه تحقيق ما يتصورونه في خصوص النبي من شرائط ، هذه التصورات التي يتنافى بعضها من كونه بشراً ، أو بعضها الآخر يتنافى مع شؤون حامل الرسالة الالهية ، فكان الجواب ﴿**سبحان ربي هل كنت إلاّ بشراًرسولاً**﴾ فالمشكلة في الأمورالمطلوبة لا في الشخص المطلوب منه ، ويؤيد ذلك تعقيبة تعالى على هذه الطلبات بقوله : ﴿**وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولاً**﴾.(١)

فهذه الآية الكريمة تؤكد أن مشكلة المشركين كانت في عدم قبولهم كون الرسول من البشر ، وتصوراتهم الخاطئة في شأن الرسول ، وشرائطهم الخاصة به ، والتي ذكرت طلبات المشركين هذه بشكل أجلى وأوضح ، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضة على بعض**»(٢) .

وتفصيل ذلك أن المشركين خيروه ﷺ بين ستة أشياء منها :

﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً**﴾(٣). وهو أمر مستحيل بذاته،لأن الله تبارك وتعالى ليس بجسم حتى يأتي قبيلا. وهذا الطلب هو استكبار منهم وعناد ،

---

(١) الاسراء :٩٤.

(٢) نهج البلاغة :٢٥٢ الخطبة ١٣٣ (صبحي الصالح - دار الاسوة) .

(٣) هذا هو الطّلب الرّابع من طلباتهم .

فإنهم لم يكتفوا بطلب مجيء الله تعالى قبيلا، بل طلبوا أيضاً أن تأتي معه الملائكة، وقد ذكر الله تعالى طلبهم في سورة الفرقان أيضاً،قال تعالى : ﴿**وقال الذين لا يرجون لقآءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربّنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواًكبيراً**﴾. (١)

ولذلك نجد الجواب فيه إشارة إلى تجليل الله تعالى عن ذلك وأمثاله قال تعالى : ﴿ **وقل سبحان ربي** ﴾.ومنها ﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً**﴾ (٢) وهو طلب لقتلهم وافنائهم عن طريق إسقاط السماء كسفاًعليهم ،وهذا ليس طلب للمعجزة ، لأن المعجزة انما يقوم بها الرسول ليدل الناس على صدقه ، وعلى أنه رسول الله تعالى اليهم ، ليتبعوه ويهتدوا ، وليست لافنائهم وقتلهم .

فطلبهم هذا في الحقيقة ليس إلا استهزاء بما ذكره ﷺ لهم قبل ذلك، كما أشاروا هم بقولهم :(كما زعمت) . فإن الرسول ﷺ كان قد تلا عليهم في وقت سابق قوله تعالى : ﴿**ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء**﴾(٣) فما أرادوه هنا هو الإستهزاء بما تلاه قبل ذلك، لا طلب المعجزة ، والله تعالى قادر على أن يسقط عليهم كسفاًمن السماء ، كما صرحت به هذه الآية الكريمة ، ولكن بسبب رحمته الواسعة ، وأمانه الذي أعطاه للامة ، أمهلهم وأجلهم إلى الوقت المعلوم .

---

(١) الفرقان :٢١.

(٢) هذا هو الطلب الثالث من طلباتهم .

(٣) سبأ : ٩.

قال تعالى : ﴿ واذ قالوا اللّهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماءأو ائتنا بعذاب أليم * وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون ﴾.(١)

ومنها قوله تعالى :﴿أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً﴾(٢) كان المراد من تحقيق شرط في الرسول بحسب تصوراتهم ، فإنهم كانوا يرفضون أن يكون الرسول كأي واحد منهم ، يمشي في الأسواق ، ويحصل حوائجه من هنا وهناك ، فالرسول بنظرهم ينبغي أن يكون مترفعاً عن ذلك .

وقد ذكر الله تعالى في سورة الفرقان قولهم حيث قال تعالى :﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً كأو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ....* تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾(٣) .

في الواقع هم كانوا يرفضون أن يكون الرسول إنساناً كباقي البشر ، يسير في الأسواق ، ويشتري حوائجه ، ويأكل ويشرب ، ولذلك لم يؤمنوا به ، مع هذه المواصفات التي يتصف بها ، ويطلبون منه أن يكون كما يريدون ، عنده جنته الخاصة به ، التي يأكل منها ، بل المتميزة بكونها من النخيل والعنب ، وهي أشرف ثمارها ، وأن يفجّر الأنهار خلالها تفجيراً. فكان الجواب بأنني رسول، والرسول ليست تلك مواصفاته التي تتصورونها ، بل لا بد للرسول من أن يكون بشراً كباقي البشر ، يسير في الأسواق ، ويشتري حوائجه ويأكل ، وغيرها من الأمور الطبيعية التي يمارسها كل انسان ، ليستطيع بذلك أن يكون قدوة للناس

---

(١) الأنفال : ٣٢و ٣٣.

(٢) هذه هو الطلب الثاني من طلباتهم .

(٣) الفرقان :٧-١٠

ودرساً علمياً في جميع شؤونهم ، قال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً﴾.[١]

هذا هو سبب عدم الاستجابة لطلبهم ، لا العجز .وقال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً﴾.

ومنها : ﴿أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ [٢] أي ، بيت من ذهب ، وهذا أيضاً كان المراد منه تحقيق شرط في الرّسول بحسب تصوراتهم الخاطئة ، فهم من جهة طلبوا أن يكون البيت له ﷺ خاصة ، ومن جهة أخرى لم يطلبوا إلا حصوله، ولم يلزموه بأن يحقق ذلك عن طريق المعجزة ، فلو فعله بأسبابه الطبيعية ، لكان كافياً لتحقق طلبهم ، وليس ذلك إلا لتصوراتهم الخاطئة في شأن الرسول . فهم كانوا يرون أن الرّسالة يجب أن تكون لرجل ذو مال عظيم مميز ، قال تعالى:

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾[٣] فالشخص -حسب تصوراتهم - لكي يكون مؤهلاً لكونه رسولاً للاله يجب أن يمتلك مالاً عظيماً.فكان جوابه تعالى بأن هذه الأموال هي من الشؤون الدنيوية ولا علاقة لها بالرسول وصفاته والشرائط التي ينبغي أن تتوفر لديه قال تعالى ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾. بل لعل حكمته تعالى تقتضي عدم تظاهره ﷺ بالثروة ، ليواسي الفقراء فلا يخجلوا من فقرهم مادام الرّسول ﷺ بنفسه مثلهم ، ولا يتكبرّ الغني بما لديه من مال على الفقراء مادام رسوله وقدوته يعيش مثلهم .

ومنها :﴿ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[٤] ،

---

(١) الأحزاب :٢١.
(٢) الطلب الخامس من طلباتهم
(٣) الزخرف : ٣١.
(٤) الطلب الأول من طلباتهم .

كان المراد منه - والله أعلم - رفع حاجاتهم الدنيوية لا المعجزة المثبتة للرسالة ، فإن مكة كانت تواجه مشكلة مائية ، فكل ما عندهم هو بئر زمزم ، وإنما يفيدهم لمثل الشرب ، وأما الاستفادة منه للري ، وتعمير الأرض ففيه عسر شديد ، ويبقى محدوداً جداً،لذلك طلبوا منه هذا الطلب ، وهو أن يخلصهم من هذه المشكلة ،بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً، والينبوع أسهل تناولاً، وأوسع استفادة يطيب الأرض ، وينمي الغرس ، وينهي لهم مشاكلهم التي كانوا يعانون منها ، فهم مستعدون للتغاضي عن مسألة كونه بشراً مثلهم،يمشي في الأسواق ويأكل الطعام ، وعن مسألة عدم تظاهره بالعظمة والترف من الجهة المالية ، مقابل أن يخرج لهم من الأرض ينبوعاً بأي وسيلة كانت .

وهذا المعنى هو المروي في شأن نزول هذه الآيات ، فقد روي أن عبد الله بن أبي أمية جاء النبي ﷺ مع جماعة من رؤوساء قريش ، فقال :«لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه ، فإنها ذات أحجار وجبال ، تكسح أرضها وتحفرها ، وتجري فيها العيون،فإنا إلى ذلك محتاجون »[٢]

وامتثال الرسول الأعظم ﷺ لطلب كهذا خلاف الحكمة لأمور :

الأول :ماذكره البعض من أن سنة الله تعالى في الحياة البشرية استقرت على أن يصل الناس إلى معايشهم ومآكلهم ومشاربهم ومآربهم عن طريق السّعي والجد ، تكميلاً لنفوسهم ، وتربية لعزائمهم ، فإذا كان مطلوب القوم أن يفجر لهم النبي ينبوعاً وعيناً لا ينضب ماؤها ، حتى تتبدل أراضيهم القاحلة إلى طيبة صالحة للزرع

---

(١) الطلب الأول من طلباتهم

(٢) راجع في ذلك تفسير الصافي للفيض الكاشاني : ٢١٧/٣ ، البرهان : ٦٢١/٤ ، نور الثقلين للحويزي : ٢٢١/٣

والغرس ، فهو على خلاف تلك السّنة الحكيمة ، وعلى ذلك نزل الذكر الحكيم . قال تعالى ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ (١) ثم استثنى بعض الأحوال والظّروف التي يقوم معها النبي ببعض المعاجز لابقاء حياة قومه ، كما فعل موسى لقومه لما شكوا إليه الظمأ ، فضرب بعصاه الحجر فأنفجرت منه اثنتاعشرة عينا (٢) . ويمكن أن يشكل عليه بلطف الله تعالى ، الذي لو علم حصول ايمانهم الاختياري من خلال ذلك لفعله ، حتى وأن كان خلافاً للسنة الإلهية العامة ، مادام حصوله استثنائياً، ولم يصل إلى حد كونه سنة مقابل تلك السنة .

الثاني : حتى لو امتثل لطلبهم هذا ما كانوا ليؤمنوا به ، لأنهم رأوا قبل ذلك الكثير من المعجزات ولم يؤمنوا، وهذه المعجزة لن تشكل الصدمة الكافية لايقاظهم من غفلتهم هذه ، بل على العكس ستحل لهم مشاكلهم تلك ، ويستأنسون بذلك ولن يزيدهم إلا كفراً وعتياً قال تعالى :﴿ **وإذا مسّكم الضّرّ في البحر ضل من تدعون إلا اياه فلمّا نجّاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً** ﴾.(٣)

فلو استجاب الرسول ﷺ لطلبهم هذا لكانت مسأله النبي موسى عليه السلام ستتكرر في هذه الأمة ، فتتكرر طلباتهم ، ويزداد كفرهم وتعنتهم بعد كل امتثال واستجابة لطلبهم ، وعندئذ سيستحقون العذاب الدنيوي من الله تعالى انتصاراً لرسوله (٤) ، مع أنه تعالى وعد بعدم تعذيبهم ، حيث قال سبحانه :﴿ **وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾(٥) .

---

(١) النجم : ٣٩

(٢) اقتباساً من قوله تعالى في سورة البقرة : ٦٠ راجع توضيح ذلك في كتاب مفاهيم القرآن للسبحاني : ١٤٣/٤ .

(٣) الاسراء : ٦٧.

(٤) راجع كتاب هدى القرآن :٤٧/٩.

(٥) الانفال : ٣٣ .

من هنا اقتضت حكمة الله تعالى أن لا تتكرّر مسألة الأنبياء السّابقين مع أقوامهم الذين لحقهم غضب الله تعالى وعذابه الدّنيوي ، أن لا يتكرّر ذلك في هذه الأمة ، فما كان من طلباتهم لايلزم منه العذاب ، إذا جحدوه بعد اجابتهم ، ويستجيب لهم تعالى طلبهم ذلك، كما حصل في مسألة شقّ القمر ، حيث اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ - كما جاء في الروايات الكثيرة - فقالوا: ان كنت صادقا فشق القمر فرقتين ،فقال رسول الله ﷺ : ان فعلت تؤمنون قالوا نعم ، وكانت ليلة بدر ، فانشق القمر فلقتين ، فقالوا : سحرنا محمد ، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة :﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ**﴾[1][2] وان كان طلبهم من النوع الذي جحدوه ورفضوه بعد أن استجابه تعالى، وجب انزال العذاب عليهم ، فأنه تعالى رحمة بهم لا يستجيب لهم ذلك ولعل طلبهم تفجير ينبوع لهم من الأرض من هذا النوع الثاني، الذي يلزم من جحوده العذاب ، بسبب الميزات الخاصّة التي يتمتع بها، حيث إنه سيكون من جهة معجزة دائمة موجودة نصب أعينهم طوال الوقت ، ومن جهة ثانية معجزة ترفع مشكلاتهم ، ويعيشون بسببها في راحة ، وسيكون لسان حالهم أو مقالهم : خدعنا الساحر ، وأخذنا منه ما أردنا ولم نعطه ما أراد ، وقد أشار تعالى في كتابه الكريم ، إلى أنه لا يستجيب لمثل هذه الطلبات ، حيث قال تعالى ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون** ﴾[3] .

الثالث : طلبهم هذا أشبه بالمقايضة والمتاجرة ، لا يتسبب بالإيمان الواقعي ، فإن حللت لنا هذه المشكلة نعتبرك نبياً، والنبي ﷺ لا يريد منهم هكذا ايمان

---

(١) القمر : ١و ٢

(٢) راجع لتوضيح المطلب تفسير القمي : ٣١٨/٢ ، البرهان : ٣٦٨/٧ ، الميزان :٦٠/١٩ -٦٧ تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي ٣٩٠/١٢

(٣) الاسراء : ٥٩.

تجاري وللمصلحة الدّنيوية ، قال تعالى :﴿ **ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها** ﴾.(١) ولذلك كان الجواب فيه تسبيح لله تعالى ﴿**قال سبحان الله** ﴾ فهو أجلُّ من أن يرتكب خلاف الحكمة،وأجلُّ من أن يحتاج لمثل تدينهم ليقايضهم عليه .ومنها :﴿ **أو ترقى في السّماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه** ﴾(٢) فطلبهم مركب من أمرين :

الأول: الرّقي في السماء ، **والثاني:** ينزّل عليهم كتابا يقرؤنه، وهذا الطلب تفوح منه رائحة العناد واضحة، فإنهم لم يكتفوا بطلب المعجزة، بل حدّدوها وجعلوا محلّها نفس الرسول ﷺ بأن يرقى في السّماء . ولم يكتفوا بذلك، بل طلبوا منه انزال كتاب عليهم أيضاً ، ولافائدة من الاستجابة لهذه الطّلبات .

ثم أن تحقيق ما طلبوه خلاف الحكمة ، وخلاف ارادة الله تعالى ، فإنهم أرادوا أن ينزّل عليهم كتاباً سماوياً، وبهذا الاسلوب ودفعة واحدة ، لا بأسلوب الوحي وبالتدريج ، وهم بذلك يريدون أن يملوا على الرسول ﷺ اسلوب الوحي واسلوب تنزيل الكتاب ، لا مجرد معجزة تدل على صدقه ﷺ ومن الواضح أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يتنزّل القرآن الكريم بهذا الاسلوب وبالتدريج. قال تعالى ﴿**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً**﴾(٣) فتعالى الله عن أن يتبع اهواءهم في مثل هذه الأمور المهمة والأساسية على مستوى الرسالة ، ولم يكن للرسول ﷺ أن يقترح مثل هذه الإقتراحات ، فكان الجواب :﴿ **سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً** ﴾.قد ذكر الله تعالى مثل طلبهم هذا في آيات اخرى من كتابه الكريم ،

---

(١) الاسراء : ٧.

(٢) هذا هو الطلب السادس من طلباتهم .

(٣) الفرقان :٣٢.

قال تعالى﴿**يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .....**﴾[١]

والظّاهر من الكتاب المذكور في الآية هو ما ذكرناه ، أي أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء، كالقرآن أو الإنجيل . ولكن يجب أن يكون هذا التنزيل دفعة واحدة وحسب ما يريدونه هم.

أورد العلامة الطّباطبائي في الميزان قال:فسؤالهم تنزيل الكتاب من السّماء بعد ما كانوا يشاهدونه من أمر القرآن لم يكن إلا سؤالا جزافياً لايصدر إلا ممن لا يخضع للحق ولا ينقاد للحقيقة ، وإنما يلغو ويهذو بما قدمته له أيدي الأهواء من غير أن يتقيد بقيد أو يثبت على أساس [٢] .

وهناك رواية عن الإمام الهادي عليه السلام فسرت معنى الكتاب في الآية الشريفة بمعنى آخر - أي الكتاب الذي طلبه المشركون من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حيث ذكر أنه رسالة(من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أبي أمية المخزومي ومن معه بأن آمنوا بمحمّد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فإنه رسولي ، وصدّقوه في مقاله فإنه من عندي). ثم لا أدري يا محمد، إذا فعلت هذا نؤمن بك أولا،بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت ابوابها وادخلتناها، لقلنا: **إنما سكرت أبصارنا وسحرتنا** [٣]

وبناء على تفسير الكتاب بالرسالة، ما كان الله ليستجب لهم ذلك أيضاً؛ لإن طلبهم هذا تكبر عظيم منهم، فهم يريدون رسالة منه تعالى شخصياً إلى ابن أبي أمية باسمه ومن معه، بأن صدقوا محمداً فيما يقول. وما كان الله تعالى ليستجيب

---

(١) النساء :١٥٣.

(٢) الميزان : ١٣١/٥

(٣) انظر كتاب الاحتجاج للطبرسي : ٢٨/١، عنه بحار الأنوار : ٢٧١/٩

لتكبرهم هذا، ومن هم ؟ وأيّ فضل لهم حتىّ يتوجه الله تعالى اليهم بهذا التوجّه الخاص، وهذه العناية الخاصّة فيخاطبهم بشخصهم، ويرسل اليهم رسالة خاصة منه اليهم ؟!

ويظهر مما قدّمناه أن استدلا لهم على نفي الولاية التكوينية من خلال هذه الآية غير تام . (١)

أيضاً عندنا استدلال بنحو آخرلإثبات ولايتهم التكوينية المطلقة، عليهم أفضل الصلاة والسلام. يقول بعض القاصرين عن درك كلمات القرآن الكريم وروايات المعصومين، عليهم السلام :«أن جميع الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وحتى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كانت لهم الولاية التشريعية ، ولم تكن لهم الولاية التكوينية، ومعنى ذلك : أن وظيفتهم هي أخذ الأحكام وشرائع الدين من جبرائيل عليه السلام ، وابلاغ الناس بها، لأن الولاية التشريعية عبارة عن تعليم الناس ما هو باطل أو صحيح، حسب أحكام الشرع المقدس. وفي رأيهم أنه لم يكن للنبي، ولا الإمام وظيفة أخرى.فنقول في الجواب :

انّ الجميع يعلمون أن العلماء والمجتهدين، ومراجع التقليد، عند الشّيعة، ورجال الافتاء عند السنة، لهم هذه الوظيفة، وأن عليهم العمل بها.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : أنه إذا كانت وظيفة الأنبياء، والأئمة الطاهرين عليهم السلام ليست إلا التعليم فقط، فماهو الفرق إذاً بين الأنبياء، والمجتهدين، ومراجع التقليد ؟

ونظن أن جوابهم سيكون هكذا: بأن الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام هم المجموعة الأولى في ايصال الأحكام، والأوامر الالهية إلى الناس، وأنّ

(١) هذا الاستدلال مأخوذ من كتاب الولاية التكوينية بين الكتاب والسنة لهاشم العاملي :٧٩-٩٣ ، فراجع

المجتهدين، ومراجع التقليد هم المجموعة الثانية ، في هذه الوظيفة. وليس هناك أمر إلا من حيث التقديم والتأخير في الوظيفة لا غير .

وفي اعتقادهم أن الرسول الأكرم ﷺ كان يتلقى مسألة أو حكماً ما من جبرائيل عليه السلام ،ثم يتعلمه وينفذه هو،وبعد ذلك يعلم الآخرين، فليس من فرق بين الرسول الأكرم ﷺ وباقي الناس ! وهكذا في بقية المسائل وأحكام الدّين .

وعلى هذا الأساس يبدلون مقام النبوّة الشامخ ، والإمامة العظيمة إلى وظيفة علمية تشريعية بحتة ، وينفون مزايا النبوة والإمامة ويحولونها بزعمهم، إلى مسألة تعليم بسيط تشبه وظيفة رجل معمّم يقوم بالتبليغ في قرية، أو في حي من أحياء المدينة، في حين أن الأنبياء يتعلمون أحكام الدين من جبرائيل عليه السلام ، وأن العلماء يتعلمون من الأنبياء عليهم السلام . ألا ترى أن هذه العقيدة باطلة،نصاً وروحاً، حيث أن هؤلاء المعاندين الجاهلين ينفون مزايا النبوة عن الأنبياء ، خصوصاً عن الرسول الأكرم ﷺ وحسب زعمهم يجب أن نشطب بالأحمر على كثير من آيات القرآن الكريم، وكثير من الروايات والأخبار الإسلامية الصّحيحة المنقولة عن النبي ﷺ ، والتي تؤكد تميز الأئمة المعصومين عليهم السلام على جميع المخلوقات ،وحتى الملائكة انظر إلى كلام السيد المرتضى (ره)حيث قال : أجمعت الامامية بلا خلاف بينها على أن كل واحد من الأنبياء أفضل وأكثر ثواباً من كلّ واحد من الملائكة. وذهبوا في الأئمة، عليهم السلام ، أيضاًإلى مثل ذلك . (١)

وفي الحقيقة أنه ليست هناك أمة ، حتى اليهود والنصارى ، أو أخواننا السنة تنزل درجة النبوة والإمامة إلى هذا المستوى وهذا الدرك من الإنحطاط ، الذي يساوي بين النبي العظيم ﷺ والأئمة الطاهرين المعصومين عليهم السلام ، وبين الفقهاء والعلماء ومراجع الافتاء .وهذا التفكير عبارة عن رأي جديد ، فهو جديد

(١) وسائل المرتضى : ١/١٠٩ و ٤٨.

لهؤلاء الناس وأمثالهم ؛ بسبب عنادهم وعدائهم لأهل البيت عليهم السلام ، وللرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بغية توجية الضربة القاضية لأساس الدين الاسلامي الحنيف والقرآن الكريم ، وذلك عن طريق انزال الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام ، عن مقامهم الشامخ المقدّس .

ولا نظن أن المفكرين ، وأهل البصيرة النفاذة من المسلمين ، لا يعلمون مصدر هذا الرّأي الفاسد ،وكيفية أنتشاره، ونشر الأباطيل التي تؤدي إلى التفرقة والتباغض .كل هذا يعد خيانة للإسلام وأهله .

نعود فنقول لهؤلاء الجاهلين : إنكم إذا جعلتم النبي صلى الله عليه وآله ، والإمام عليه السلام مبلغاً، ونبيّاً بسيطاً لا يتميزعن غيره، وليس لهم عليهم السلام ،سوى وظيفة التبليغ فقط ، أفلا تؤمنون بوجود الإمام الثاني عشر ، الحجة بن الحسن - أرواحنا له الفداء-وأنه حي يرزق ؟!

ان اعتقدتم بوجوده الشريف المبارك، واعترفتم أن هذا العصر هو عصر الغيبة الكبرى ، وأن تبليغ أحكام الدّين تقع على عاتق الفقهاء ، والمجتهدين وعلماءالإسلام بسبب الغيبة، وأنه ليس هناك من يدّعي أنه وليّ العصر ، ويسأل عن مسائل الدين، وبناء على ذلك فعلى جميع المسلمين أن يرجعوا إلى العلماء المجتهدين ، ومراجع التقليد، بشرط العدالة وحيازة شرائط الاجتهاد ، لتحصيل أمور دينهم وأحكام الشريعة الإسلامية المقدسة .

إذا كنتم تعتقدون بكل هذا، وكان النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ، لا يملكان الولاية التكوينية بزعمكم ، والولاية التشريعية في زمن غيبة الإمام (عج) واقعة على عاتق المجتهدين والمراجع في الافتاء ، وأنهم المسؤولون عن تبليغ الأحكام الإلهية .

إذا كنتم تعتقدون ذلك ، فما هي وظيفة الإمام المنتظر(عج)؟! وإذا لم يكن للإمام عليه السلام أيّة وظيفة في هذا العالم، ولا يفيد شيئاً بزعمكم، فلماذا ابقاه الله الرّؤوف الرّحيم حياً أكثر من ألف سنة؟!

والاعتقاد بكونه حيّاً، من ضروريات مذهب الشيعة الاثنى عشريّة....

وفي النهاية - وبحسب ادعائكم -أن أماماً لا يملك الولاية التشريعية، ولا التكوينية، ولا وظيفة خاصة له ، فلماذا يبقى حيّاً على خلاف العادة؟! أليس هذا خلاف العقل والمنطق والحكمة ؟وبالتالي : أليس هذا اعتراضاً على الباري ، جلّ وعلا ؟

فلم يبق أمامكم إلا أحد طريقين:

أمّا أن تنكروا النبوّة والإمامة، والتوحيد والحكمة الإلهية، وأمّا أن تنكروا وجود الإمام الحجّة بن الحسن (عج) ،وليّ العصر وامام الزمان.

من البديهي أنّ هذين الطريقين ينتهيان إلى طريق مغلق ، أو إلى الكفر . وتأسيساً على هذا يجب أن تعرفوا أنكم تسيرون في طريق باطل ، غير مستقيم، وتقطعون بأباطيلكم جذور الدّين والعقائد الإسلامية، من غير أن تفهموا أو تشعروا بما تريدون . ويجب أن تعرفوا بأنّ انكار الولاية التكوينية للأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، هو كفر وإلحاد يؤديان إلى الفساد، وظهور العقائد الباطلة ، فلا مخرج لكم من ذلك إلاّ الإعتراف بالولاية التكوينية الخاصة بالنبي والأئمة المعصومين ، عليهم السلام والإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن (عج) على وجه الخصوص . نعم إن وظيفة النبي والإمام ، ليست فقط وظيفة تعليمية لمسائل الدين ، بل للنبي والإمام - وعلاوة على وظيفته، أو ولايته التشريعية التي هي أولى درجة الإمامة - الولاية التكوينية، إن بقاء الإمام الثاني عشر (عج)

حياً، ليس فقط لتعليم مسائل الدّين ،بل نقول : إنّ بقاء العالم مرتبط ببقاء الإمام بأمر الله تعالى، حسب قوله ، عليه السّلام «**لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت**»[1] أي فنيت الأرض ، وفني أهلها . وإن معنى الولاية الكلّية هي هذا المعنى، وأنتم أيها الفقراء الضّعفاء غافلون عنها !!!.[2]

بعد أن أثبتنا الولاية التكوينية للأنبياء والمعصومين الطّاهرين ، عليهم أفضل الصّلاة والسّلام ، وقدرتهم الذّاتية المستمدّة من الله تعالى، لاعلى سبيل التفويض ورفع اليد، بل على سبيل التصرف في الوجود بإذن الله سبحانه وتعالى ، بالدليل العقلي والنّقلي نصل إلى هذه النتيجة ، وهي مفاد بحثنا ، أن العبد قد يصل إلى هذا المقام،ولكن بعد التشبه والتخلق والتحقق بالصفات الالهية ، ومن المعلوم لديك أيها السّالك، الفطن أن هذا الإنسان المتشبه المتخلّق لايصل إلى هذا المستوى إلا بعد الوصول إلى درجة اليقين . ونحن لما نقول يصل إلى اليقين ليس مرادنا اليقين المصطلح عند أهل الفلسفة والمنطق ، وإنما مرادنا هذه الحقيقة من آثار اليقين المصطلح عليه في الآية والرّواية ، والإنسان عندما يصل إلى هذه الدّرجة لا يمكن أن تحصل له غفلة أو شك وريب ، ولذلك كما ورد في الرّوايات ، في قصة إبراهيم عليه السلام المعروفة،لما هم قومة أن يسقطوه في النار، الله سبحانه وتعالى في هذا الموقف أراد أن يمتحن عبده ابراهيم، فأنزل له جبرائيل فقال له : ماذا تأمر يا إبراهيم أن أفعل لك؟ ولا حظوا أن الإنسان في مورد الحاجة والاضطرار قد يغفل ولكن إبراهيم، عليه السلام ، لم يغفل ، حيث قال : أمّا منك فلا ، إذا منه نعم ، ولذلك من احد الابتلاءات التي ابتلي بها إبراهيم هو هذا الموقف ، قال تعالى ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[3]

(١) اصول الكافي : ١/١٧٩

(٢) راجع في توضيح هذا المطلب كتاب الولاية من وحي القرآن للعلامة الميرزا عبد الرسول الاحقاقي : ١/١٥٨-٧٦٣ وكذا الروايات الاتية في متن هذا الكتاب .

(٣) البقرة ١٢٤

لذلك بعد أن مر ابراهيم عليه السلام بمختلف الإمتحانات المتصورة استحق عندئذ أن يصل إلى المقام الشامخ،وهو مقام الإمامة، في رواية الإمام الرضا عليه السلام قال : **هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة، فيجوز فيها اختيارهم؟! إن الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها ابراهيم الخليل عليه السلام ، بعد النبوة..فقال تعالى : (إني جاعلُك للناس إماماً)..ثم قال : إن الإمام اس الإسلام النامي وفرعة السامي ، بالإمام تمام الصلاة والزكاة ..الإمام كالشمس الطالعة للعالم ..الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشمس المضيئه ، والأرض البسيطة،والعين الغزيرة، والغدير ، والروضة ....الإمام عالم لا يجهل ، راع لا ينكل ، معدن القدس والطّهارة والنسك والزهادة، والعلم والعبادة....**(١)

فالإنسان إذا وصل إلى هذه الحقيقة عند ذلك تنصرف نفسه عن كلّ شيء ، وتتوجه إلى ربها فلا يحجبها عنه حاجب ، ولا يسترها عنه ساتر ، وهو «حقّ المعرفة ». فإذا وصل الإنسان إلى هذا المقام لا يوجد بينه وبين ربّه أيّ حجاب وستر ، نعم، إذا عَرف الله تعالى من خلال المفهوم والألفاظ . فإن هذه - المفاهيم والألفاظ- تكون حجباً بينه وبين ربّه ، أما إذا عرف الله تعالى من خلال المشاهده الحقيقية بعين البصيرة،نجد أنه لا معنى للغفلة والسّهو والنسيان هنا، التفت أيّها السّالك !

نحن لما نبين هذه المطالب لا يأتينا قائل ويقول : الإمام قد يغفل ويسهو وينسى،

(١) مقاطع من حديث طويل أورده الصّدوق في أماليه : ٧٧٣ المجلس ٩٧ح١

نعم ، إذا كان علمه مأخوذ من مقدمات تصديقية ، يترتب بعضها على بعض للوصول إلى النتائج، وهذا المدّعى صحيح،لأنه قد يتحصل الخطأ فيها ، وقد تترتب النتائج وقد لا تترتب - كما بيّنا سابقاً-أمّا إذا كان علم الإمام من نسخ علم آخر، من حقيقة أخرى، فلا مجال للغفلة والسّهو والنسيان والإعراض عن الله تعالى في أي حال من الأحوال [١]، فمن الخطأ أن يُقاس علم الناس بعلم الإمام، فكما أنّ بعض الناس عندما يجد غفلة في عمله ينسب غفله في علم الإمام أيضاً. كما يجد نسياناً في علمه ينسب نسياناً في علم الإمام ، وهكذا وليس الأمر كذلك [٢] والآن لو نأتي إلى الآية الشريفة في سورة الأنعام ، ونبحث عن رؤية إبراهيم لملكوت السّماوات والأرض، لوجدنا أن المراد باراءة إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ، على ما يعطيه التدبر في سائر الآيات المترابطة بها - كما نقله صاحب الميزان - هو توجيهه تعالى نفسه الشريفه إلى مشاهدة الأشياء، من جهة إستناد وجودها إليه ، وإن كان إستناداً لا يقبل الشركة لم يلبث دون أن حكم عليها أن ليس لشيئ منها أن يربٌ غيره ويتولى تدبير النّظام واداء الأمور »[٣].

وهذه الجهة التي عبر عنها السّيد رحمه الله ، هي المقصودة بالغيب أو الباطن، هذه الجهة لا تقبل الشك والرّيب والشّبهة والغفلة، من قبيل الشخص الذي احترق بالنار ، فإنه لا يمكن أن يحصل له أي شك أو ريب وتزلزل : بأنّ النّار حارة محرقة.

ومن هنا نجد إبراهيم عليه السلام رفض الأصنام والنّجوم والكواكب، هذا الرفض لم يكن من خلال الإستدلال العقلي،إنما من خلال الرّؤية القلبية،وسوف نبين

(١) راجع استدلالنا في بداية البحث .

(٢) راجع مقالة علم الإمام في كتاب إحقاق الحق للميرزا موسى الحائري : ٤٢٠ المقالة الحادية عشرة.

(٣) انظر الميزان للطباطبائي : ١٧٧/٧

إنشاء الله تعالى لماذا أورد الله تعالى لفظ الرّؤية ولم يورد لفظ العلم ؟
إذاً حتىّ يتبّين مطلبنا نضرب مثالاً لذلك :
الإنسان تارة يحسّ بألم موجود عنده ، وتجده يصرخ ويصيح، وهذا من آثار الألم، ومن الواضح أنّ هذا الإنسان لو عرض أمامه ألف دليل على أنّه غير متألم فلا يشك في ألمه ما دام متألم ؟!
افترض أنّ هذا الإنسان لا يستطيع أن يدافع عن الأدلة التي أنت تقيمها وهو يقول :الألم أحسّ به بوجداني، ولكن نسأل ما هي آثاره ؟
الجواب : إنّ هذا الألم يسلب الإستقرار والإطمئنان عن الإنسان ، ومرة أخرى هذا الإنسان يذهب إلى طبيب الأسنان ويقول له : أسناني تؤلمني ، هذا الطبيب يتصور الألم ولكن لا تصدر عنه آثار الألم ، وفي هذه الحالة الطّبيب قد يصدق أولا يصدق هذا الإنسان، لماذا ؟ لأنّ الطبيب قد يشك في أنّ هذا المريض متألم أو ليس بمتألم، بالرغم من الأدلّة التي أقامها المريض للطبيب، وهذا بخلاف من يجد الألم في نفسه، فإفهم.
إذاً الصورة الثانية من المثال مصداق اليقين المصطلح في الفلسفة والمنطق ، وأما اليقين الوارد في الآية والرواية فلا مجال للشك فيه ، هذا أوّلاً.
ثانيا : في هذا اليقين - يقين السّالك - لا يمكن أن تنفك الآثار المترتبة عليه ، ومثاله الصّورة الأولى من مثال الإنسان الّذي لا مجال له أن يشك في ألمه ، وكذلك لا يمكن أن تنفك الآثار عن هذا الألم، مع العلم بأن هذا اليقين الوارد في الآيات والروايات ليس له مرتبة واحدة ، بل له عدّة مراتب ودرجات.
قال الشيخ عباس القمي في سفينة البحار: جعل بعض المحققين لليقين ثلاث درجات :

الأولى : علم اليقين وهو العلم الذي حصل بالدليل كمن علم وجود النار برؤية الدخان.

الثانية : عين اليقين . وهو إذا وصل حدّ المشاهدة كمن رأي النّار.

الثالثة : حقّ اليقين . وهو كمن دخل النار وأتصف بصفاتها.(١)

وقال الديلمي في أرشاد القلوب:

قال الله تعالى :﴿ **والّذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ . فمدح الموقنين بالآخرة يعني ، المطمئنين بما وعدالله فيها من ثواب وتوعد من عقاب، كأنهم قد شاهدوا ذلك كما روي أن سعد بن معاذ دخل على رسول الله ﷺ فقال :**كيف اصبحت يا سعد ؟ فقال: بخير يا رسول الله . اصبحت بالله مؤمنا، فقال : يا سعد ان لكلّ قول حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ فقال : يا رسول الله ، ما أصبحت فظننت أني أمسي ولا امسيت فظننت أني أصبح ، ولا مددت خطوة فظننت أني أتبعها بأخرى، وكأني بكل أمة جائية، وبكل أمة تدعى إلى كتابها معها ونبيها أمامها تدعى إلى حسابها، وكأني بأهل الجنة وهم يتنعمون وبأهل النار وهم معذبون، فقال له رسول الله ﷺ :ياسعد،عرفت فالزم.**

فلما صحّ يقينه كالمشاهدة أمره باللزوم واليقين ، وهو مطالعة أحوال الآخرة على سبيل المشاهدة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : **لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً . فدل على أنه يشاهد الآخرة مع الغيب عنها**، وقال عليه السلام :**مامن أحد منكم إلا قد عاين الجنة والنار ان كنتم تصدقون بالقرآن** . لأن اليقين بالقرآن يقين بكل ما تضّمنه من وعد ووعيد ، وهو أيضاً في قلب العارف كالعلم البديهي الّذي لا يندفع

(١) سفينة البحار:٨/٧٥٠.

، ولأجل هذا منعنا من أن المؤمن يكفر بعد المعرفة والإيمان ..فإذا صح اليقين أخالت أنوار السعادة في القلب بتصديق ما وعد به من رزق في الدنيا، وثواب في الآخرة، وخشعت الجوارح من مخافة ما توعد به من العقاب، وقامت بالعمل والزجر عن المحارم، وحاسب العقل النّفس على التقصير في الذكر والتنبيه على الفكر، فأصبح صاحب هذا الحال نطقه ذكراً، وصمته فكراً ونظره اعتباراً.واليقين يدعو إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلي الزهد، والزهد ينتج النطق بالحكمة؛لخلو البال من هموم الدنيا، لقوله ﷺ :﴿**من زهد في الدنيا استراح قلبه وبدنه، ومن رغب فيها تعب قلبه وبدنه، فلا يبقى له نظر إلا إلى الله ولا رجوع إلا إليه**﴾[١]

وأورد العلامة الطباطبائي في الميزان: « **أنه ذكر عند النبي أن بعض أصحاب عيسى كانوا يمشون على الماء .فقال النبي : لو كان يقينهم أشد لمشوا على الهواء**». وقال ايضاً: فالحديث يوميء أن الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وتعالى ، وإمحاء الأسباب الكونية عن الإستقلال في التأثير فإلى أي مبلغ بلغ ركون الإنسان إلىالقدرة المطلقة الإلهية إنقادت له الأشياء على قدره ، فأفهم ذلك .[٢]

قال تعالى :﴿ **تلك الرّسلُ فضلنا بعضهم على بعض** ﴾[٣] وقال تعالى في آية أخرى :﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** ﴾ [٤] إذا ،فكل الأنبياء وصلوا إلى درجة اليقين ،ولكن توجد بينهم درجات متفاوته ، ومن هنا يأتي بيان

(١) ارشاد القلوب : ١/١٢٤

(٢) انظر تفسير الميزان:٦/١٨٦

(٣) البقرة : ٢٥٣.

(٤)الاسراء : ٥٥.

فضل رسولنا الأكرم ﷺ وآله الطيبين الطاهرين، عليهم أفضل الصلاة والسلام. ولكن الكلام كل الكلام هو أنه هل ذكر القرآن طريقا للوصول إلىهذا اليقين أو لم يذكر ؟

نحن نعلم ، أنه إذا أراد الإنسان أن يحصل له يقين على أن الله موجود ، على أن الآخرة موجودة، طريقه العقلي للوصول إلى هذه الحقيقة ، أن يذهب إلى الكتب العقلية من فلسفية وكلامية ويصل إلى مقام اليقين المصطلح ،إذاً فأنت قد تجد انساناًيؤمن بالله ولكن عن تقليد، وقد تجد شخصاً آخر يؤمن بالله تعالى ولكن عن طريق البرهان العقلي القطعي ، وهذا هو الطريق للوصول إلى هذا اليقين المصطلح عن طريق العلوم الحصولية .ولكن التساؤل الذي قد يرد علينا:

ما هو الطريق الذي يؤدي بالإنسان للوصول إلى مشاهدة الملكوت؟

طريق السالك لمشاهدة الملكوت

القرآن بنحو العموم ،وبنحو الخصوص أثبت أنه كما أن لهذه الأشياء التي بين ايدينا وتحت العيان ظاهر، كذلك لها باطن ، ومثاله في القرآن، إنك تجد سماوات وأرض، وتجد غيب السّماوات والأرض، وأيضاً تجد خلقاً وتجد أمراً ، وأيضاً تجد ملك السّماوات والأرض ، والآية الجامعة لهذا المعنى هي في قوله تعالى : ﴿ **وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾[١]

إذاً، الملكوت المعّبر عنه في الآية الشريفة في سورة الأنعام[٢] ، هو المعّبر عنه في سورة الحجر بالخزائن، وقد تبين من خلال الآية المتقدمة في سورة الحجر أن كل شيء له خزائن، أي بطون متعددة.

وأما في الروايات، فقد ورد عن رسول الله ﷺ :«**إن للقرآن ظهراً وبطناً،ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن**»[٣]،وفي بعض الروايات سبعين بطناً،والقرآن يذكر في بعض الآيات أنه أحصى كل شيئ، وكل شيئ له سبعون بطناً،

بمقتضى الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، فتدبر في قوله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيئ**﴾ [٤] ،وقال تعالى في آية أخرى : ﴿**ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾[٥]

---

(١) الحجر : ٢١ .

(٢) الأنعام : ٧٥ قال تعالى : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ..**﴾

(٣) تفسير الصافي : ٥٩ المقدمة الثامنة ، اتحاف السادة المتقين للزبيدي : ٢/ ٦٥ ، عن حمل الأسفار للعراقي: ٩٩/١(عيسى الحلبي) .

(٤) النمل : ٨٩

(٥) الأنعام :٥٩.

وما من شيء إلا أحصاه الكتاب،والقرآن له سبعة أبطن أو سبعون بطناً، إذاً فكل شيء له بطون متعددة.

ماهي هذه البطون ؟

من البطون : اللوح المحفوظ، والعرش، والكرسي، ولوح المحو الإثبات، وإذا أردت المزيد من ذلك ، فأعلم أنه قد دلت الآيات والروايات،ودل العقل السليم المستمد من الفؤاد الناظر بنور ربّه، الذي قال فيه العالم وهو أمير المؤمنين عليه السلام :«**أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، قال : فقلت :ياأمير المؤمنين، كيف ينظر بنور الله عزوجل ؟ قال عليه السلام لأنه خلقنا من نور الله، و خلق شيعتنا من شعاع نورنا.فهم أصفياء أبرار أطهار متوسّمون، نورهم يضئ على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء**»[1] -إن للقرآن ظاهراً وباطناً وتأويلاً، وللظاهر ظاهر، وله ظاهر إلى سبعة ، وللباطن باطن وله باطن إلى سبعة ، وللتأويل تأويل إلى سبعة ، ولباطن التأويل باطن وباطن باطن إلى سبعة ، والقول في معرفة جميع المراتب على التفصيل لا يسع المقام لذكرها [2] .

لكنني أبين - **بتوفيق الله وقوته وحسن إعانته** - هذه التفاسير بمقدار ما تيسر لنا منه، ولكي نستفيد من أن القرآن له ظهراً وبطناً، نجد ذلك جلياً في بداية سورة الزخرف من قوله تعالى : ﴿**حم* والكتاب المبين * إنا جعلناه قرءاناً عربياً لعلّكم تعقلون* وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ [3] .انظر إلى قوله تعالى : ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون** ﴾

---

(١) نقله العلامة المجلسي في بحاره : ٢٥ /٢١ ج ٣٢.

(٢) عن الإسلام في ايران مشاهد روحية وفلسفية .

(٣) الزخرف: ١-٤

الضمير في «**جعلناه** » يعود للكتاب ، وقوله :«**قرآنا عربيا**» أي مقروءاً باللغة العربية ، وقوله :«**لعلكم تعقلون** »غاية الجعل وغرضه، وجعل تعقله غاية للجعل المذكور ، يشهد بأن له مرحلة من الكينونة والوجود لا تنالها عقول الناس ، ومن العقل أن ينال كل أمر فكري ، وإن بلغ من اللطافة والدقة ما بلغ ، فمفاد الآية أن الكتاب بحسب موطنه الذي له في نفسه أمر وراء الفكر أجنبي عن العقول البشرية ، وإنما جعله الله قرآنا عربياً، ألبسه هذا اللباس رجاء أن يستأنس به عقول الناس فيعقلوه[1] .

إذاً كما تبين من خلال بيان السيد الطباطبائي رحمة الله للآيات المتقدمة أن هذا القرآن الذي بين أيديكم متلبّس باللباس العربي المبين ، لأيّ غرض؟ حتى تفهمونه وتتعقلونه على مستوى الفهم والإدراك العقلي ، وإذا لم نجعل هذه الحقائق والمعاني بلباب اللفظ الحاكي عن تلك الحقائق والمعاني ، ليس بمقدوركم أن تعقلونه وتفهمونه ، دع عنك قول بعض الجهلة الذين يزعمون أن القرآن مختص لمن خوطب به ، ونزل عليه ، ونحن ليس وظيفتنا أن نفهم القرآن نقول لهؤلاء القاصرين عن درك الحقائق : أن النبي ﷺ ، كان قلبه محلا لنزول القرآن كما قال الله تعالى في سورة الشعراء:﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾[2] . نسأل سؤالاً وهو : أن الذي نزل في قلب النبي ﷺ هل هو مفاهيم وألفاظ، أم الحقائق المكنونة في اللوح المحفوظ التي لا يمكن للعقل إدراكها ؟

من الواضح أن حقائق القرآن الكريم الموجودة في العوالم المتقدمة ،والتي نزلت على جسده المبارك الطاهر ، مع العلم أنه ليس فاقداً للحقائق التي

(١) راجع تفسير الميزان: ١٨/٨٣ .

(٢) الشعراء : ١٩٣ و ١٩٤

أنزلها الرّوح الأمين . إذا فالقرآن له مرتبة فوق مرتبة العقل ، ولا يمكن درك تلكم الحقائق بأي أداة من أدوات التعقل ، إنما الطريق للوصول إلى تلك الحقائق هو القلب الفؤاد - البصائر.

أورد السيد الرشتي رحمه الله في كتاب السّير والسّلوك - ما نصه - : واعلم يا حبيب قلبي، أن الله تعالى جعل قلبك محلاً للأنوار ومخزناً للأسرار، وأودع، فيه معاني جميع الأكوار والأدوار والأوطار والأطوار[1]. وجعلك إنموذجاً للعالم العلوي والسفلي ،وصّيرك كتاباً لعلويّه بالخط الواضح الجليّ، كما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام :«إن الصّورة الإنسانية هي أكبر حجة لله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجمع صور العالمين ،وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهي الحجّة على كل حاضر وهي الصّراط المستقيم ، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار . فكل ما يريد منك وتريد منه فهو حاضر لديك موجود عندك . وقد ذكرت في بعض ما نظمت هذا المعنى :

كل الذي تهواه عندك حاضر
من كل مافي عالم الإمكان
سر العلا في غيبك ذاتك كامن
قد صرت عرش مستوى الرحمن ...

إلى آخر الأبيات .

---

(١) الأكوار : جمع كور وهو الزيادة ونقل عن النبي (ص) أنه قال : نعوذ بالله من الحور بعد الكور انظر لسان العرب : ١٨٥/١٢ انظر في هذا تاج العروس

الأدوار :جمع دور وهو الإحاطة لسان العرب : ٤٣٨/٤

الأوطار : جمع وطرح وهو كل حاجة يكون لك فيها همه عنه بلوغها . لسان العرب : ١٥ / ٣٣٦

الأطوار : جمع طور . وهو بمعنى التارة يعني طوراً بعد طور تارة بعد تارة . لسان العرب : ٢١٦/٨

فإذاً كل ما تريد وتطلب عندك، ولا تحصله منك إلا بعد إجتماع الحواس، وسكون الخاطر، حتى تقابل مرآة ذاتك، وحقيقتك لفوارة النور على حدّ الغيور، وتستقر بوادي طور في مجلس السّرور، فهناك تجد صحواً بلاغبار ، وسراً بلا أكدار[١] .

فالعاقل تكفيه الإشارة، والغافل لا تكفيه ألف عبارة .

وقوله تعالى :﴿ **وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ [٢] تأكيد وتبيين لما تدلُّ عليه الآية السابقة ، أن الكتاب في موطنة الأصلي وراء تعقل العقول .

والضّمير للكتاب ، والمراد بأمّ الكتاب ، اللوح المحفوظ كماقال تعالى :

﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ** ﴾ [٣]

والمراد بكونه علياً - على ما يعطيه مفاد الآية السابقة - أنه رفيع القدر والمنزلة من أن تناله العقول . وهذان النعتان أعني كونه عليّاً حكيماً ، هما الموجبان لكونه وراءالعقول البشرية ؛ لأن العقل لاينال إلا ماكان من قبيل المفاهيم والألفاظ ،أولاً وكان مؤلفاً من مقدمات تصديقية يترتب بعضها على بعض ، كما في الآيات والجمل القرآنية ، ثانياً وأمّا إذا كان الأمر وراءالمفاهيم والألفاظ، وكان متجزئاً إلى أجزاء وفصول ، فلا طريق للعقل إلى نيله فمحصل معنى الأيتين يكون هكذا:

أنّ الكتاب عندنا في اللوح المحفوظ ذو مقام رفيع وإحكام، لاتناله العقول لذينك الوصفين ، وإنما انزلناه بجعله مقروءاً عربياً رجاء أن يعقله الناس»[٤]

---

(١) السير والسلوك : ٩٣- ٩٤

(٢)الزخرف: ٤ .

(٣)البروج : ٢١-٢٢.

(٤)راجع في ذلك تفسير الميزان : ٨٦/١٨.

إذاً فالعقل له القدرة على أن يدرك ما هو سنخ المفاهيم والألفاظ ،كما أن العين لها القدرة على درك المبصرات ، ولكن ليس من مقدورها أن تدرك المسموعات ، فكذلك العقل له حدّ معين يستطيع أن يدرك المفاهيم والألفاظ ويستطيع أن يقدّم ويؤخر من خلال الأدله والاقيسه، وأمّا الحقائق المكنونة التي هي من سنخ المفاهيم والألفاظ، ويعبر عنها بالباطن.كما قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[١] .

وفي قبال الظّاهر يكون الباطن ،وكذلك ورد في الآية الشريفة :﴿**لهم مّا يشآءون فيها ولدينا مزيد**﴾[٢]

هذا المزيد لا يمكن أن يبّين لماذا ؟ لأن العقل البشري يعجز عن درك تلك الأسرار والحقائق، وإنما تدرك عن طريق المشاهدة أو الذوق أو المّس، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

حتى يتضح المطلب لا بدّ أن نبين هذه الحقيقة وهي : أن القرآن الكريم بين لنا أنه كان في مقام رفيع نزل إليكم كما قال تعالى :﴿ **إنما أنزلناه في ليلة القدر**﴾[٣] الآية الشريفة تصف أن هذا القرآن كان في مقام عالي ، ثمّ نزل .ولكن هذا النزول ماهي خصائصه ؟هل هو نزولٌ على نحو التجلي ، أم على نحو التجافي ؟ إذا قلنا أنه نزل على نحو التجافي ، هذا يعني ، أنه كان في الأعلى فهو ليس في الأسفل ، وإذا كان في الأسفل فإنه ليس في الأعلى، وليس الأمر كذلك ، إنما نزوله كان على نحو التجلي ، أي ، أنه ينزل مع حفظ مقامه الأعلى .

---

(١) سورةالروم :٧

(٢) سورة ق :٣٥

(٣) سورةالقدر :١

نضرب مثالاً لتقريب المطلب :أنت الآن - أيّها القاريء السّالك - إذا كان في ذهنك مطلباً أو موضوعاً تريد أن تنزله في الورقة، ولكن عندما تنزله هل ذهنك يفرغ منه أولا يفرغ ؟ من الواضح أنه لا يفرغ ، بمعنى ، أنّه ينزل بنحو يبقى في الأصل في ذهنك، ويظهر في نشأة أخرى أو بنحو آخر ، إذن فالتجلي هو تنزلٌ خاص ، بنحو يبقى وجوده في الأصل ، ويظهر في المادة ، فأفهم وتبصَّر.

إذاً فالقرآن عندما يقول : ﴿ **إنا أنزلناه** ﴾ هذا النزول يقتضي أنه كان في مرتبه عالية ثم نزل ، ومن هنا يّتضح لك معنى الآية في سورة الزخرف ، قال تعالى : ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربياً**﴾ أي كان بنحو ، ثمّ جعلناه بنحو آخر ، وهو اللسان العربي المبين ، هذه آية . وهناك آيات كثيرة في بيان هذه الحقيقة منها :آية من سورة الواقعة ، يتعرض لها السيد الطباطبائى رحمه الله قال تعالى :

﴿ **إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون** ﴾ (١)

فقوله :﴿**إنه لقرآن كريم**﴾ :الضمير للقرآن المعلوم من السّياق السّابق ، ويستفاد من توصيفه بالكريم من غير تقييد في مقام المدح ، أنه كريم على الله ، عزيز عنده، وكريم محمود الصفات، وكريم بذال نفاع للناس (٢) ، لما فيه من أصول المعارف التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، وقوله تعالى :﴿**في كتاب مكنون** ﴾ وصف ثانٍ للقرآن ،أي ، محفوظ ،مصون عن التغيير والتبديل ،وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى :﴿ **بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ**﴾(٣) .

أذاً للقرآن ملكاً وملكوتاً ، والملك يمكن الوقوف عليه بالحواس الظاهرة ، وأما الملكوت فلا طريق للوقوف عليه إلا من خلال الحواس الباطنة ، ويأتي هذا التساؤل وهو :

(١) الواقعة : ٧٧-٧٨ .

(٢) هناك مناسبة بين هذا المعنى ومعنى الآية في سورة الرعد : ١٧ :﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾فانظر

(٣) راجع تفسير الميزان :١٩-١٣٧.

كيف يمكن الوقوف على ملكوت القرآن الكريم أو باطن القرآن ؟

الجواب نجده في قوله تعالى :﴿ **لا يمسّه إلا المطهّرون** ﴾ (١)، وأنّ ضمير ﴿ **لا يمسه** ﴾ يوجد فيه إحتمالان :

الأول :إمّا أن يعود إلى القرآن .

الثاني : أن يعود إلى الكتاب المكنون .

يستفاد من الرّوايات أن الضمير يعود علىالقرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون ، فتكون هذه الرّوايات قرينة على المراد .

وبمقتضى قواعد اللّغة العربية أنّ الضمير يعود إلى أقرب المراجع ، إلاّ إذا دّلت هناك قرينة في إرجاع الضمير إلى الأبعد ، ومن الواضح بناءً على القواعد وظواهر اللغة العربية أن ضمير ﴿ **لا يمَسّهُ** ﴾ يعود إلى الكتاب المكنون . جاء في بعض التفاسير :

وقوله تعالى : ﴿ **لا يمسّه إلا المطهّرون** ﴾ صفة الكتاب المكنون ، ويمكن أن يكون وصفاً ثالثاً للقرآن ، ومآل الوجهين ، - على تقدير كون (لا)نافية - واحد .

والمعنى : لايمسّ الكتاب المكنون الذي فيه القرآن إلاّ المطهَّرون ، أو لايمسّ القرآن الذي في الكتاب إلاّ المطهَّرون .(٢)

إذا فلا يمس الكتاب المكنون إلا من كان مطهرّاً ، والكلام علىأيّ حال مسوق لتعظيم أمر القرآن وتجليله ، فمسّهُ هو العلم به ، وهو في الكتاب المكنون ،كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ **إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾. (٣)

(١) الواقعة :٧٩.

(٢) راجع تفسير الميزان : ١٣٧/١٩.

(٣) الزّخرف :٣-٤.

ومن هنا يظهر عندنا سؤال ثانٍ وهو : لماذا عبرّ عن العلم في الآية المتقدمة بالمسّ ولم يقل لا يعلمُهُ إلا المطهرون ؟

الجواب - والله العالم - إنّ الآية الشريفة لو قالت لا يعلمه ، لتبادَرَ إلى الذّهن العلم الحصولي ،الّذي ينتج من خلال الأقيسة والإستدلالات العقلية ، والذي ينسجم مع قانون المفاهيم والألفاظ ، كما بيّنا هذا المطلب سابقاً، ولكن لما نأتي إلى العلم الشهودي ، أو الحضوري هل نقول علم أو مسّ؟ نحن بيّنا هذه الحقيقة في أبحاثنا السّابقة في حقيقة اليقين ، وقلنا : إن الإنسان امّا أن يقترب من النار فيمسّ حرارتها ، وإمّا أن يقع في النّار بكليته ويحترق فيها بجملته ، الإنسان إذا وصل إلى هذا الحال، ماذا نصطلح عليه؟ هل أنه عَلِمَ بالنار ؟أو نقول مسّ وشاهد وأحس بالنار ؟ فافهم وتفطن ، ولذا نرى القرآن يصّرح بهذه الحقيقة ، وهي : أنه لاطريق للعلم بالكتاب المكنون إلاّ عن طريق المس أوالمشاهدة، ولذلك يقول القرآن الكريم:﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض** ﴾[1] ولم يقل نعلّم إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض ، وكذلك أيضاً عندما يطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يقف على المناسك بعد أن بنى البيت مع إبنه إسماعيل ، يقول كما في قوله تعالى : ﴿ **ربّنا وأجعلنا مسلمين لَك ومن ذرّيّتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾[2]

ولم يقل علمنا مناسكنا فافهم ، إن كنت من أهل الذّوق والشّهود !!

فالرؤية شيء والعلم شيء آخر ، وهذه الرؤية تارة تكون رؤية بصرية ، وتارة تكون رؤية قلبية كما قال الله تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [3] .

---

(١) الأنعام : ٧٥ .

(٢) البقرة : ١٢٨.

(٣)النجم :١١.

وهذه الرؤية تنسب إلى الفؤاد نسبةً حقيقية ، لا نسبة مجازية، ولذلك لما قال مسّ يريد أن يشير - والله العالم- أن هذا العلم ليس هو العلم المصطلح الّذي يرتبط بعالم المفاهيم والألفاظ ،إنما الإشارة إلى هذا النّكتة التي بيناها .

بعد طي هذه المنازل والدّيار نصل إلى هذا التساؤل :

ما المراد من المطهر الذي يمس الكتاب المكنون؟

أولاً : لا بد أن نبين قاعده أساسية ، وهي : أننا إذا أردنا أن نفهم إصطلاحاً قرآنيا أمّا أن نرجع إلى القرآن الكريم لبيان المراد من ذلك الإصطلاح ، وإما أن نرجع إلى من أوكل إليهم بيان حقائق القرآن ، الذين هم عدل القرآن، وهم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، لا أن نرجع إلى إصطلاحاتنا التي اصطلحنا عليها في العلوم الحصولية ، وعلى أساسها نفهم إصطلاحات القرآن ، والقرآن يبين ويقول : ﴿ **فلولا نَفَر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** ﴾[1] .فلو نأتي إلى إصطلاحاتنا في العلوم الحصولية نعني ، بـ(**ليتفقّهوا**)أن نقرأ كتاب الفقه وأقسامه المختلفة من طهارة ونجاسات ، الخ، أما مراد القرآن ليتفقهوا معارف القرآن أعم من أن تكون أخلاقاً أو عقائداً ....، أيضاً عندما تأتي الروايات وتقول : ﴿ **قف عند الشبهة فإن الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة** ﴾ [2] . لما نرجع إلى إصطلاحاتنا في العلوم الحصولية نجد أنّ الشبهة على أنواع - كما في أصول الفقه : الوجوبية والتحريمية والمفهومية والمصداقية . هذا هو مفهومنا ، ولكن الإمام هو يبين لنا الشبهة بقولة : ﴿**...سميت شبهة لأنها تشبه الحق ...**﴾[3]

---

(١) التوبة : ١٢٢

(٢) أورده المجلسي في بحار الأنوار :٢/ ٢٥٩

(٣) انظر نهج البلاغة :٧٧ خطبة ٣٨ (صبحي الصّالح).

هي باطل ولكنّها تشبه الحقّ ، فالظاهر ظاهر حقّ ، والباطن هو باطل ، إذا فأي لفظ نجده في القرآن الكريم ، أو روايات أهل البيت عليهم السلام وفيه أجمال يجب أن نرجع إلى القرآن أو المعصومين ، عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، لبيانه ، لا أن نحمل القرآن ورواياتهم عليهم السلام إصطلاحاتنا التي اصطلحنا عليها في العلوم الحصولية، ولما نأتي إلى لفظ الطّهارة في القرآن، أيضاً من هذا القبيل ، نحن عندما نطلق لفظ الطهارة يذهب ذهننا إلى الطهارة المادية ، في قبال الخبث والنّجاسة الذي نقرأه في علم الفقه.

ولما نأتي إلى علماء الأخلاق نجد أنّهم يطلقون لفظ الطّهارة، ومرادهم معنى غير هذا المعنى المصطلح عليه في الفقه ، وكذلك في باب العقائد، وهكذا تتسلسل المراتب إلى درجات متعددة ومن هنا بناءً على هذه القاعدة المتقدمة ، نقول :

إن القرآن الكريم عندما يقول كلمة الطّهارة ما هو المقابل الذي يجعله للطهارة ؟ الجواب : هو أنه نتفحص ما يقابل كلمة الطّهارة .

عندما نأتي إلى قوله تعالى:﴿ **إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[1] ومن خلال هذه الآيات تبين أن إذهاب الرجس إنما يكون بالطهارة ، إذا فمقابل الطهارة يقع الرجس ، ومن هنا نرجع إلى القرآن ونسأل : ماهو الرجس ؟! لأنه إذا تبين لنا معنى الرجس في القرآن نفهم معنى الطهارة ، عندما نرجع إلى القرآن نجد تارة يطلق الرجس على الأمور المادية الظاهرية ، وأخرى يطلق الرجس على الأمور المعنوية الباطنية ، وكذلك هذه الأمور المعنوية الباطنية أيضاً لها مراتب، فتارة يطلق الرجس على الملكات، وأخرى يطلق علىالعقائد، وثالثة يطلق على مرتبة أعلى من الملكات والعقائد ، والقرآن صريح في

(١) الأحزاب : ٣٣

ذلك ، حيث أنه يثبت لنا أنّ الكفر والشرك رجس ، وهما من الأمور المعنوية الباطنية[١] ، ويثبت أنّ لحم الخنزير أيضاً رجس وهو أمرٌ مادي [٢] ومن هنا يتضح لنا أن القرآن يطلق الرّجس على الأمور المعنوية كما يطلقها على الأمور المادية ، والأمور المعنوية أعمّ من أن تكون مرتبطة بعالم العقائد أو الأخلاق والملكات ، ونشير إلي بعض الآيات لمعرفة هذه الحقيقة .

من هذه الآيات -الآية المباركة من سورة الأحزاب - ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ موضع الشاهد : الرّجس - بالكسر فالسكون - صفة من الرّجاسة وهي القذارة ، والقذارة هيئة في الشيء توجب التجنب والتنفر منه ، وتكون بحسب ظاهر الشيء، كنجاسة الخنزير ، قال تعالى : ﴿ **أو لحم خنزير فإنه رجس** ﴾ [٣] وبحسب باطنه - وهو الرّجاسة والقذارة المعنوية - كالشرك والكفر وأثر العمل السيء ، قال تعالى : ﴿ **وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾ [٤] وقال تعالى في آية اخرى : ﴿ **ومن يُرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾ [٥] وعلى كلّ حال فهو إدراك نفساني، وأثر شعوري من تعلّق القلب بالإعتقاد .

الباطل ، أو العمل السيء،وإذهاب الرّجس - واللام فيه للجنس - إزالة كل هيئة خبيثة في النفس،تخطئ حق الإعتقاد والعمل فتنطبق على العصمة الإلهية ، التي هي صورة عملية ، نفسانية تحفظ الإنسان من باطل الإعتقاد وسوء العمل [٦] .

(١) قال تعالى : ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ ، الأنعام : ١٢٥

(٢) قال تعالى: ﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾ ، الأنعام :١٤٥

(٣) الأنعام:١٤٥

(٤) التوبة : ١٢٥

(٥) الأنعام : ١٢٥

(٦) راجع تفسير الميزان : ٣١٢/١٦.

إذا إتضح لنا الأن ، إنطلاقاً من الآية في سورة الأحزاب، إن الرّجس منه ظاهر مادّي ، ومنه باطن معنوي ، وبمقتضى قانون المقابلة من أنّ الطّهارة منها ظاهرية ، ومنها باطنية ، وعلى هذا الأساس عندما قالت الآية المباركة المتقدمة : ﴿ **لا يمسّهُ إلا المطهّرون** ﴾ أي ، لا يتبادر إلى ذهنك أنّها الطّهارة في باب الوضوء ، أو الصّلاة .تلك الطّهارة التي تقرؤها في باب الفقه . صحيح أنها تشمل ذلك المورد ، ولكن ليست مختصّة بهذا الباب ، ولا معنى إلى الإختصاص، لأن الآية قالت : المطّهر ولم تقل المتطهر في اصطلاح علم الفقة ، وخيرُ شاهد على ما نقول أنّ (لا يمسهُ) فإن الـ(لا) هي ليست ناهية ، إنما هي نافية ، لأنه إذا كان المراد الطهارة الإصطلاحية، لابد أن تكون (لا)ناهية ، فيستفاد منها أن القرآن لا يمكن مَسَّ كتابته إلا من كان متطهراًبالطهارة الإصطلاحية ، وأما إذا قلنا الطهارة أعم ، تشمل الظاهرية والباطنية ، فمَسّ كتابة القرآن الكريم يشترط فيها أن يكون الإنسان طاهراً ظاهراً ، ولا يشترط الطّهارة الباطنية ، و (لا) تكون نافية في مقام الإخبار،لأنّ الآية تفيد الإخبار على أنّ المكنون لا يمسه إلا المطهرون . والمطهرون عندنا على مراتب :

١- **المطهر على مستوى الأعمال** : أن لا يصدر من الإنسان أي عمل محرم .

٢- **المطهر على مستوى الملكات**: أن لا توجد في الإنسان أي أخلاق رذيلة.

٣- **المطهر على مستوى العقائد** : أن لا يوجد في الإنسان أي شرك .

بعد أن بيّنا هذه المراتب . نأتي إلى القرآن الكريم ، قال تعالى :﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (١)

أذا من خلال هذه الآية الشريفة يتبّين أن هؤلاء يؤمنون بالله تعالى ، ولكن هل هم مطهرون ؟

(١)يوسف : ١٠٦

وإنّ أتوا بجميع الأفعال التي وجبت عليهم ، وانتهوا عن جميع الأفعال التي حرّمت عليهم ، هل هؤلاء من حيث العقائد طاهرون ، أم ليسوا بطاهرين ؟ بمقتضى ما ذكرنا ، أن الشرك نوع من الرجاسة والخباثة المعنوية، طبعاً مع الإلتفات إلى هذه النقطة ، أن الآية الشريفة تقصد من « الشّرك» أن يجعل الإنسان شريكاً مع الله ، في التّعلّق القلبي والوجداني ، ومن المعلوم أنّ العمل من أي نوع كان هو من رشحات العلم ، يترشح من إعتقاد قلبي يناسبه ، وقد إستدلّ تعالى على كفراليهود، وعلى فساد ضمير المشركين ، وعلى نفاق المنافقين من المسلمين ، وعلى إيمان عدّة من الأنبياء والمؤمنين بأعمالهم وأفعالهم في آيات كثيرة جداً يطول ذكرها ، فالعمل كيف كان يلازم ماينا سبه من العلم ، ويدلّ عليه ، وبالعكس ، يستلزم كلّ نوع من العلم ما يناسبه من العمل ، ويحصله ويركزه في النفس، كما قال تعالى:﴿ **والّذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلَنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[1] .وقال تعالى : ﴿ **وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ [2] . وقال تعالى أيضاً:﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السّوأى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن** ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ **فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** ﴾[4]. الآيات في هذا المعنى أيضاً كثيره، يدّل الجميع على أن العمل صالحاً أو طالحاً يولد من أقسام المعارف والجهالات ما يناسبه »[5]

---

(١) العنكبوت : ٦٩.

(٢) الحجر : ٩٩

(٣) الرّوم : ١٠

(٤) التوبة: ٧٧

(٥)راجع تفسير الميزان:٣/٦٥.

فالأعمال والسّلوك رشحات الإعتقاد، فالّذي هو طاهر من حيث الإعتقاد، يكون طاهراً من حيث الأعمال والملكات، وذلك نجده في قوله تبارك وتعالى:﴿ **قل كُلّ يعمل على شاكلته**﴾[١] . فالعلم إذا كان طاهراً يترشح منه عملاً طاهراً ، فافهم.بموجب ما بيناه في الصّفحات السّابقة تبّين أن الرجس يطلق على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : يُطلق على الأمور المادّية الظّاهرية.

المرحلة الثانية : يطلق على الأمور المعنوية ، ومنها العقائد الباطلة ، والملكات الرّذيلة.

المرحلة الثالثة : وهو ما يأتي بيانه ، وهو التّعلّق بغير الله تعالى .

فكان أن الرّجس يطلق على هذه المراحل الثلاث ، فكذا الطهارة ، فإنها أيضاً **تمر بمراحل ثلاث:**

المرحلة الأولى : تطلق على الأمور المادية الظاهرية .

المرحلة الثانية : تطلق على الأمور المعنوية ، ومنها العقائد والملكات

المرحلة الثالثة : وهو التعلق القلبي بالله تعالى وحدة . وهذه أعلى المراتب من الطهارة، والعكس صحيح في الرّجس ، فافهم .

فالإنسان إذا حاز على المرتبة الأخيرة من الطهارة يصل إلى مقام فيه يكون محبوباً عند الله سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى :﴿ **والله يحبُّ المطّهّرين**﴾ [٢] إنّ هذا الحبّ للمتطهر ليس المراد منه المتطهر ظاهراً؛ لأنّ القرآن الكريم بيّن ملاك المحبوبية لله تعالى، حيث قال :﴿ **قل إنْ كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ...**﴾[٣] .

---

(١) الإسراء : ٨٤.

(٢)التوبة : ١٠٨.

(٣)آل عمران :٣١.

ومن الواضح أنّ الله تبارك وتعالى أمرنا باتباع نبيّه ﷺ ،والنبيّ أمرنا باتباع أهل بيته ، عليهم أفضل الصّلاة والسّلام.

فالواضح من الإتّباع في الآية المتقدمة ليس الإتّباع الظّاهري، إنمّا الإتباع القلبي الوجودي، أن تتشبّه وتتخلّق بهم ؛ لأنّهم محالّ معرفة الله، والأدلاء عليها ، ومن عرفهم فقد عرف الله ، ومن جهلهم فقدجهل الله،كما ورد في الزّيارة الجامعة الكبيرة للمعصومين عليهم السلام : « **السّلام على محالّ معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سرّ الله، وحملة كتاب الله ...السّلام على الدّعاة إلى الله ، والإدلاء على مرضات الله ، والمستقرين في أمر الله ، والتامين في محبة الله ،والمخلصين في توحيد الله** »[1] ..

إنّ معرفة الله لا يمكن حصولها إلاّ بتعرفه ، وتعريفه لمن يريد أن يعرف نفسه ، و تعرفه وتعريفه هو وصفه لعبده. الشيء إنما يعرف بوصفه، وذلك الوصف الذي يعرف به هو حقيقة ذات العبد ، وليس له حقيقة غيرها ، وهذا التّعرّف والتعرف الذي هو ذات العبد ، أحدثه الله تعالى بفعله ، يعني،أنّه صفة الفعل الخاصّ به من الفعل المطلق وهيئته ، كما أنّ الكتابه هيئتها هيئة حركة يد الكاتب، فهيئةالكتابه تدلّ على هيئة حركة اليد من الكاتب ، فكانت هيئة ذات العبد - التي هي تعريف الله - هيئة مشيئة الله الخاصة به ، فالأثر يدل على المؤثر الذي هو الفعل ، والفعل يدلّ على الفاعل ، لأن الفعل هو ظهور الفاعل به ، فالذات التي هي أعلى المراتب بحقيقتها معرفةالله ، لأنّها صفته، ولهذا قال مولانا أمير المؤمنين :«من عرف نفسه فقد عرف ربّه »[2]

---

(١) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة . انظر من لايحضره الفقيه للصدوق : ٢/٣٧٠ ، عيون أخبار الرّضا عليه السلام له :٢٧٣ ، مفاتيح الجنان : ٦٦٨ ، فرائد السّمطين للحموينى : ٢/١٧٩.

(٢)أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج :٢٠/٤٤٩ (الأعلمي بيروت).

جعل معرفة النّفس عين معرفة الله ؛ لأنها الصّفة ، فهي المثل - بكسر الميم - الذي لا يشبهه شيء، ولو كان يشبهه شيء والحال أنَّ من عرفه عرف ربّه ، لزم أن يكون الله يعرف بغير صفته ، وأن يكون لصفته شبيه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والله سبحانه لايعرف بغيره،وإلا لكان الغير مشابهاً له ، ولايجوز كما مّر أنّ يكون تلك الذات غير صفته ،وإلا لكانت موجودة قبل صفته لتقع صفته عليها ، هذا باطل ؛ لأن تلك الذات إنّما حدثت بالفعل ، فيجب أن تشابه صفته ، لأنها أثره فتكون هي الصفة ، ولو لم تشابه صفة الفعل ، لم تكن محدثة عنه ، فتكون مشابهة لما أحدث به ، أو أنها ليست محدثة ، فمعنى كون تلك الذّات محِلّ معرفة الله ، أنها هي معرفة ، وإنها هي محل المعرفة ، بناءً على سرِّ اللّغة ، ومن أن الشيء محل نفسه لامحلٌّ لغيره »[1] فافهم وإغتنم هذه الجواهر، وكن من الحامدين الشاكرين.

وتأكيداً لما ذكرناه، نعرض هذه الرّواية الشريفة لإثبات أنهم ﷺ نور الله المشرق في جميع العوالم ، المعرِّف للتوحيد ، كما ورد في دعاء رجب : «**وأسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك، والتي لا تعطيل لها في كل مكان ، يعرفك بها من عرفك فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** » [2] .

---

(١) انظر شرح الزيارة الجامعة الكبيرة للشيخ أحمد الإحسائي رحمه الله : ١٦٩/١.

(٢)مقطع من دعاء رجب الّذي وردعن الإمام الحجّة ﷺ .أورده الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد:١٨٠٣ (مؤسسة فقه الشيعة -بيروت) ، والكفعمي في البلد الأمين ٢٥٤ (مؤسسة الأعلمي).

روى صاحب بستان الكرامة أنّ النبي ﷺ كان جالساً وعنده جبرائيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام ، فقام له جبرائيل ، فقال النبي ﷺ : أتقوم لهذا الفتى ؟فقال : لما خلقني الله تعالى سألني من أنت، وما أسمك ؟ ومن أنا ، وما أسمي ؟ فتحيرت في الجواب، وبقيت ساكتاً ، ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار،وعلّمني الجواب ، فقال : قل أنت ربي الجليل ، وأسمك الجليل ، وأنا العبد الذليل ، وإسمي جبرائيل ، ولهذا قمت له وعظّمته ، فقال النبي ﷺ كم عمرك يا جبرائيل ؟ فقال : يارسول الله، يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرّة، قد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف سنة » [1] . كذلك أيضاً أورد صاحب الأنوار النعمانية كلاماً في هذا المعنى ، حيث قال :« كما ورد في الخبر في روايات الفريقين : أنّ جبرائيل عليه السلام قد أتى يوماً إلى منزل فاطمة عليها السلام ، فتكلّمت معه ، وقالت له : يا عم ، فلما دخل النبي قال له جبرائيل عليه السلام : إن فاطمة عليها السلام قالت لي يا عم ، فكيف هذا ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النور ، وأنتم معاشر البشر قد خلقتم من الطّين ؟ فقال له النبي ﷺ : صدقت فاطمة ، ثم قال : يا جبرائيل، نحن أيضاً مخلوقون من النور ، أتعرف هذا النور إذا رأيته ؟ قال : نعم فقال ﷺ :أدعوا لي علياً ، فلما دخل قال :يا علي ، إدنو مني، فدنا فوضع جبهته على جبهته ، وحكها فيها فظهر نور لا تكاد الأبصار النظر إليه ، فقال النبي ﷺ : يا جبرائيل ، تعرف هذا النور؟ فقال: نعم . هذا النور الذي كنا نراه في قوائم العرش، فقال : يا جبرائيل ، من أجل هذا قالت لك فاطمة يا عمّ» في هذا الحديث أسرار إلهية ، وحكم ربانية لا تبلغها العقول . [2]

(١) راجع كتاب الأنوار النعمانية : ١٥/١ ؛وكذلك أورده الشيخ الحكيمي في كتابه : سلوني قبل أن تفقدوني: ٤٥/١

(٢) الأنوار النعمانية : ٦٣/١.

فثبت أنّهم عليهم السلام مصدر كلّ الخلائق ، فهم المبدأ والمنتهى، ولا بأس بالإشارة أيضاً إلى هذه الرّواية التي تحمل مضامين عالية ، فتفهمها بقلبك وروحك، وتبصَّر ، ولا أريد المكث أكثر في هذه الدّيار، لأنّ القلوب أوعية، وخيرها أوعاها الحديث ينقله صاحب صحيفة الأبرار،عليه الرّحمة ، مرفوعاً عن أبي ذر الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أفتخر إسرافيل على جبرائيل فقال : أنا خير منك،قال : ولم أنت خير مني؟ قال : أنا صاحب الصّور ، وأقرب الملائكة إلى الله تعالى .قال جبرائيل : أنا خير منك قال : ولِمَ أنت خير منّي ؟ قال : لأني أمين على وحيه ، وأنا رسول اللهِ إلى الأنبياء والمرسلين ، وأنا صاحب الكسوف والخسوف ، وما أهلك الله من الأمم إلا على يدي ، فاختصما إلى الله تبارك وتعالى ، فأوحى الله إليهما كفّا .فو عزّتي وجلا لي ! لقد خلقت من هو خير منكما قالا : ياربنا ، وتخلق من هو خير منا ونحن من نور ؟ قال الله تعالى : نعم . وأوحى الله للقدرة ، إنكشفي ، فأنكشفت ، فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب لا إله إلا الله ، محمّد وعلي والحسن والحسين . فقال جبرائيل : يا ربّ ، فإني أسألك بحقهم عليك ، إلا جعلتني خادمهم . قال الله تعالى : قد فعلت ، فجبرائيل من أهل البيت ، وإنه لخادمنا ، إنتهى [1] فافهم الإشارة .

ومن هنا يتبين لك معنى «المتطهِّر» فعلى أي حال فإنّ مقتضى المرحلة الثالثة من الطهارة ، كما أوضحنا لك انفاً ، أن لا يتعلق القلب بأي تعلقٍ سوى الله تبارك وتعالى ، وجعل الهموم هّماً واحداً ، وهو أن لا يكون غافلاً عنه تبارك وتعالى ، وأن يكون ذاكراً له سبحانه ، ولا يغفل عنه طرفة عين أبداً .

(١) صحيفة الأبرار للميرزا محمّد تقي : ٢٢٧/١

قال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرُون في خلق السّموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾.[١] .

فالقلب لا همّ له ، ولا إرتباط له بشيء إلا بالله تعالى ، وهذه هي الدرجة العالية من الطهارة ، أن يتطهر باطن الإنسان وقلبه وروحه من أي شيء سوى الله تبارك وتعالى ،فالعبد وما يملك لمولاه ، كل شيء له سبحانه وتعالى، فإذا وصل الإنسان إلى هذا المقام عند ذلك يكون طاهراً حقّاً . يكون مصداقاً لقوله سبحانه : ﴿ لا يمسّهُ إلا المطهّرون ﴾ .

فهذه الطّهارة تشمل كلّ وجود الإنسان ، فالقلب يصبح مملوءاً به سبحانه لا بغيره، كما قال تعالى :﴿ ماجعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه ﴾ [٢] . الآن نأتي إلى الآيات والروايات التي تثبت دعوانا، وهي كثيرة في هذا المقام ، منها :

الآيات في سورة الشعراء ، أوردت على لسان إبراهيم عليه السلام ، إنه قال : ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾. ولكن قبل التعرض لهذا البحث نسأل . ماالمراد من القلب السليم الذي يصل إليه الإنسان حتى يكون مطهراً؟

المراد هو أن يكون القلب سليماً من أي تعلق ، سواءً بالمال أو البنين أو غير ذلك من الأسباب الطبيعية مع الغفلة عن الله سبحانه ، ونجد ذلك جلياً في قوله تعالى : ﴿الذي خلقني فهو يهدين* والذي هو يطعمني ويسقين* واذا مرضت فهو يشفين *والذي يميتني ثم يحيين* والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدّين *ربّ هب لي حُكماً وألحقني بالصالحين *واجعل لي لسان صدق في الآخرين *واجعلني من ورثة جنّة النعيم* واغفر لأبي إنّهُ كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون *يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[٣] .

(١) آل عمران : ١٩١
(٢) الأحزاب : ٤
(٣) الشعراء :٧٨-٨٩.

فمقتضى القلب السّليم أن لا يتعلق قلب الإنسان بأي شيء حتى بالأسباب الطبيعية ؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يرد المحشر يوم القيامة بقلب سليم إلا إذا فرّغ قلبه من الأسباب الظاهرية الدنيوية ، طبعاً لا أقصد من هذا المقال، أن الإنسان يتجاوز الأسباب الطبيعية كلا بل الله تعالى أمرنا بالأسباب ، ولكن أنت عندما تظمأ ، وتريد أن تشرب الماء هل في إعتقادك الباطني الحقيقي أن الماء رافع للعطش أم الله تعالى ، ولكن بواسطة الماء ؟ أي منها؟ فتدبر .

من هنا أنت قد تشرب الماء ولكن إذا تعلقت إرادته سبحانه وتعالى بعدم رفع العطش قطعاً لا يرتفع . النار تحرق ولكن إذا تعلقت إرادته سبحانه وتعالى بأنها لا تحرق ، فلا يصدر حينئذ منها هذا الأثر، كما في واقعة إبراهيم عليه السلام ، لما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً علي إبراهيم** ﴾[1]

وقس على هذه الحقيقة ما شئت من أحداث الأنبياء ، عليهم السلام ، لما نأتي إلى قوله تعالى : ﴿ **والذي هو يطعمني ويسقين** ﴾ كما هو الواضح من خلال هذه الآيات الشريفة بأن إبراهيم عليه السلام كان يأكل ويشرب ،ولكنه كان يرى أن هذا الطعام إنما هو من الله سبحانه وتعالى ،ولكن خلال هذه الأسباب المذكورة :لأنه عنده يقين كامل أن الذي أعطى هذه الأسباب هو الله تبارك وتعالى . اذا ، فالذي بيده سببية كل سبب هو الله تبارك وتعالى ، فإبراهيم عليه السلام لما يتوسل بالسبب ، هل كان هذا السّبب حاجباً له عن النظر إلى نور الله الأعظم؟بلا شك ليس الأمر كذلك . و بمقتضى قانون التوحيد، لا يقول الإنسان الموحد : (لولا الله أولاً وأنت ثانياً لما تحققت هذه الحاجة) هذا المقال ليس بتوحيدالله ، تبارك وتعالى أولٌ لا ثاني له ، وحتى يتحمل الثاني لا بد أن يكون محدوداً .

---

(١) الأنبياء : ٦٩.

والله تعالى ليس بمتناه،ومن هنا قال :﴿**يطعمني ويسقين**﴾، وبعدها قال : ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ اللّحاظ في هذه الآية أدب إبراهيم عليه السلام ، حيث أنه لم يقل :وإذا أمرضني فهو يشفين ، بل نسب المرض إلى نفسه ، لأن الله تعالى لايمرض أحداً ، أما محل الشاهد في الآية ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون** ﴾ الآية تنفي نفع المال والبنين يوم القيامة ، وذلك أن رابطة المال والبنين التي هي المناط في التناصر والتعاضد في الدنيا ، هي رابطة وهمية لا تؤثر أثراً في الخارج من ظرف الإجتماع المدني ، ويوم القيامة يوم إنكشاف الحقائق ، وتقطع الأسباب فلا ينفع فيه مال بماليته ، ولا بنون بنسبة بنوتهم وقرابتهم . قال تعالى ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم** ﴾[1] وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون** ﴾ [2] فالمراد بنفي نفع المال والبنين يوم القيامة نفي سببيتها الوضعية الإعتبارية في المجتمع الإنساني في الدنيا ، فإن المال نعم السّبب والوسيلة في المجتمع للظفر بالمقاصد الحيوية ، وكذا البنين نعم الوسيلة والقوة والعزة والغلبة والشوكة ، فالمال والبنون عمدة ما يركن إليها ، ويتعلق بهما الإنسان في الحياة الدنيا ، فنفي نفعها يوم القيامة كالكناية عن نفي كل سبب وضعي إعتباري في المجتمع الإنساني ، يتوسل به إلى جلب المنافع المادية ، كالعلم والصنعة والجمال وغيرها .

وعبارة أخرى ، نفي نفعها في معنى الإخبار عن بطلان الإجتماع المدني بما يعمل فيه عن الأسباب الوضعية الإعتبارية،كما يشير إليه قوله تعالى :﴿ **ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون** ﴾[3]

(١) الأنعام : ٩٤.

(٢) المؤمنون : ١٠١.

(٣) الصافات :٢٥-٢٦.

وقوله تعالى : ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾.

قال الرّاغب :السّلم والسّلامة النّعري من الآفات الظاهرة والباطنة [١] .والسياق يعطي أنه عليه السلام في مقام ذكر معنى جامع يتميز به اليوم من غيره، وقد سأل ربه أولاً أن ينصره ولا يخزيه ، يوم لاينفعه ماكان ينفعه في الدنيا من المال والبنين ، ومقتضى هذه التوطئة أن يكون المطلوب بقوله:﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾بيان ماهو النافع يومئذ، وقد ذكر فيه الإتيان بالقلب السّليم، والإستثناء منقطع . والمعنى ،لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع به ، والمحّصل أن مدار السّعادة يومئذ على سلامة القلب ، سواء كان صاحبه ذا مال وبنين في الدنيا أو لم يكن [٢].

إذن فيوم تبلى السرائر ، يوم تظهر الحقائق ويظهر للإنسان أن الله هو الحقّ المبين ، وأنّ هذه الأسباب المؤثرة في عالم الدنّيا إنّما هي بيد من بيده ملكوت السّموات والأرض . كما قال تعالى :﴿ **ويعلمون أن الله هوالحق المبين** ﴾[٣] .

وقال تعالى:

﴿ **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[٤] وفي أية أخرى قال تعالى ﴿ **وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ وضلّ عنهم ماكانوا يفترون** ﴾ [٥] وكما قال مولانا أمير المؤمنين ، عليه أفضل الصّلاة والسلام : ﴿ **الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا** ﴾[٦] ، فافهم .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب : ٤٢١ (دار القلم - دمشق) .

(٢) تفسير الميزان :١٥/٢٨٨ .

(٣) النور:٢٥.

(٤) سورة ق :٢٢

(٥)يونس :٣٠.

(٦) انظر بحار الأنوار :٤/٤٣. خصائص الأئمة :١١٢ ،المناقب للخوارزمي :٣٧٥ عوالي اللآلئ :٤/٧٣ ، الصّواعق المحرقة لابن حجر : ١٢٩ مكتبة القاهرة .

وحتى يثبت لك القرآن بأن إبراهيم عليه السلام ممّن أوتي قلباً سليماً ،وأنه لم يكن لديه أي تعلق بالمال والبنين. لنرى الآيات القرآنية كيف تفصح عن هذه الحقيقة ،قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وإنَّ من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم *ربّ هب لي من الصالحين*فبشرناه بغلام حليم*فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فأنظر ماذا ترى قال يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاءالله من الصابرين* فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين كإن هذا لهو البلاء المبين** ﴾ (١) .

نحن نعلم أن الله تبارك وتعالى رزق إبراهيم عليه السلام إسماعيل في أواخر حياته ، وله علاقة خاصة بهذا الأبن ،ولكن حتى يثبت لك القرآن أن إبراهيم عليه السلام ممّن أوتي قلباً سليماً ، أراد أن يمتحنه بأن يذبح إبنه إسماعيل ، رغم العلاقة الخاصة معه . إضافة إلى ما يتمتع به إسماعيل عليه السلام من الصفات الإلهية ومنها : الحلم ، وبالفعل نجد أنه لبى نداء ربه، وأراد أن يعمل برؤياه باعتباره نبياً ،ومن أولي العزم.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿**إذ جاء ربّه بقلب سليم**﴾: مجيئه لربّه كناية عن تصديقه له ، وإيمانه به ، ويؤيد ذلك أنّ المراد بسلامة القلب عروه عن كل مايضر التصديق والإيمان بالله سبحانه ، من الشرك الجلي والخفي ، ومساوئ الأخلاق وآثار المعاصي ، وأي تعلق بغيره ينجذب إليه الإنسان ،ويختل به صفاء توجهه إليه سبحانه .

وبذلك يظهر أن المراد بالقلب السليم ، مالا تعلّق له بغيره تعالى .

---

(١) الصافات : ٨٣/-١٠٦

وقوله تعالى : ﴿ **قال يابني إنيّ أرى في المنام أني أذبحك** ﴾ هي رؤيا إبراهيم ذبح إبنه وقوله : ﴿ **إني أرى** ﴾ يدّل على تكرر هذه الرّؤيا له كما في قوله : ﴿**وقال الملك إني أرى** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **فانظر ماذا ترى** ﴾ هو من الرّأي بمعنى الإعتقاد ، أي فتفكر فيما قلت ، وعيّن ما هو رأيك فيه ، وهذه الجملة دليل على أنّ إبراهيم عليه السلام فهم من منامه أنّه أمر له بالذبح ، مثّل له في مثال نتيجة الأمر ولذا طلب من ابنه الرأي فيه وهو يختبره بماذا يجيبه .

وقوله : ﴿ **قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ . جواب إبنه وقوله :﴿ **يا أبتِ افعل ما تؤمر** ﴾ إظهار رضى بالذبح في صورة الأمر ، وقد قال : إفعل ما تؤمر ولم يقل : إذبحني ، إشارة إلى أنّ أباه مأمور بأمر ليس له إلاّ ائتماره وطاعته .

وقوله : ﴿ **ستجدني إن شاء الله من الصابرين** ﴾ تطيب منه لنفس أبيه ، أنّه لا يجزع منه ولا يأتي بما يهيّج وجد الوالدّ عن ولده المزمل بدمائه ، وقد زاد في كلامه صفاء على صفاء ، إذ قيّد وعده بالصبر بقوله : ﴿ **إن شاء الله** ﴾ ، فأشار إلى أنّ إتصافه بهذه الصّفة الكريمة - أعني الصّبر - ليس له من نفسه ولا أنّ زمامه بيده ، بل هو من مواهب الله ومننه أن يشاء تلبسّ به وله أن لا يشاء فينتزعه منه .

وقوله تعالى: ﴿ **فلما أسلما وتلّه للجبين** ﴾ الإسلام : الرّضا والإستسلام . والتلّ: الصّرع .والجبين : أحد جانبي الجبهة . واللام «**للجبين**» لبيان ما وقع عليه الصّراع كقوله: ﴿ **يخرون للأذقان سجّداً** ﴾(٢)

---

(١) يوسف :٣٣.

(٢)الاسراء :١٠٧.

والمعنى ،فلمّا أستسلما إبراهيم وابنه لأمر الله ورضيا به ، وصرعه إبراهيم على جبينه ، وجواب لمّا محذوف إيحاءً إلى شدّة المصيبة ومرارة الواقعة .

وقوله تعالى : ﴿ **ونادينا ان يا إبراهيم قد صدّقت الرّؤيا**﴾ معطوف على جواب لمّا المحذوف، وقوله : ﴿ **قد صدقت الرّؤيا** ﴾ أي ، أوردتها مورد الصّدق ، وجعلتها صادقة ، وامتثلت الأمر الذي أمرناك فيها، أي، إنّ الأمر فيها كان إمتحانيّاً يكفي في إمتثاله تهيّؤ المأمور للفعل وإشرافه عليه فحسب .

وقوله تعالى :﴿**إنّا كذلك نجزي المحسنين إنّ هذالهو البلاء المبين** ﴾ الإشارة بكذلك إلى قصة الذبّح بما أنها محنة شاقة وابتلاء شديد ، والإشارة إليها أيضاً وهو تعليل لشدة الأمر . (١)

أذا ، فثبت أنّ مقتضى القلب السّليم أن لا يوجد فيه أي تعلق ، حتى لو كان المتعلَّق ابنٌ كإسماعيل ، ومن هنا يتبيّن قول الله تعالى : ﴿ **إذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لربّ العالمين** ﴾(٢).

فالإسلام هو الإنقياد المحض لإرادة الله تبارك وتعالى، ونتيجة لذلك أمتحنه الله تعالى بمختلف الإمتحانات المتصورة ،عند ذلك وصل إلى مقام الإمامة كما في قوله تعالى :﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين** ﴾(٣)

جاء في الكافي الشريف :

عن محمّد بن سنان ، عن الشّحام ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : **إن الله تبارك وتعالى إتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإنّ الله اتخذه نبياً قبل أنْ يتخذه رسولاً ،وإنّ الله إتخذه رسولاً قبل أنْ يتخذه خليلاً، وإن الله**

(١) تفسير الميزان : ١٤٨/١٧-١٥٤

(٢) البقرة :١٣١

(٣) البقرة :١٢٤

اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء : إني جاعلك للناس إماماً ، قال : فمن عظمها في عين إبراهيم قال :ومن ذريتي !.

قال : لا ينال عهدي الظّالمين (١)

أذا فمن أهم مراتب الطّهارة ، أن يكون الإنسان بقلب سليم، والسّلامة لا تتم إلا بعد أن يفرغ الإنسان قلبه من كل شيء.

ومن هنا نسأل ما هو الطّريق للوصول إلى هذه المرتبة العالية من الطّهارة ، بحيث يستطيع الإنسان أن يمسَّ الكتاب المكنون ؟

الجواب . أقول - والله العالم - : أنَّ الإنسان لا يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد التخلق والتشبه بمظاهر إرادة الله تبارك وتعالى ، لأن الله تجلى بمخلوقاته ، وأن هذه المخلوقات لقربهم من الله تعالى ، وانصهارهم في محبته بحيث صاروا هو، وهو هم ، وحملوا صفاته وظهروا في جميع العوالم ، حتى يتعرف الخلق بأن هناك ربا خالقاً، لا شريك له ، وهؤلاء المخلوقات هم : محمّد وآل محمّد -عليهم أفضل الصلاة والسلام - فهم أكبر مظهر ظهر به الحق لخلقه ، كي يعرفوه ويعبدوه حق عبادة، فمن عرف ذلك المثال فقد عرف الله تعالى، ووصل إلى اليقين الذي لا يشوبه شك ولا ريب ، قال الإمام الهادي عليه السلام : «**من أراد الله بدأ بكم ، ومن وحّدة قبل عنكم ، ومن قصده توجّه بكم**»(٢) . وكما ورد في دعاء رجب الّذي أوردناه في صفحاتنا السابقة للإمام الحجّة :« **فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك،لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك .....إلخ** (٣) .

(١) أصول الكافي : ١/١٧٥ح٢، عنه بحار الأنوار :١٢/١٢

(٢) مقطع من الزيارة الجامعة انظر : من لا يحضره الفقيه : ٢/٣٧٠ ،عيون أخبار الرّضا للصدوق : ١/٣٠٨ ، البلد الأمين للكفعمي : ٤٢٣ ، مفاتيح الجنان : ٦٧٢ ، فرائد السّمطين :٢/١٧٩.

(٣)انظر مصباح المتهجد :٨٠٣، البلد الأمين :٢٥٤.

فبيّن، صلوات الله عليه، أنّهم عليهم السلام معادن لكلماته ، يعني ، أنّهم أعضاء لخلقه؛ لأنّ العله المادية لجميع الخلائق من شعاع أنوارهم ، فقد أتخذهم الله سبحانه أعضاءً لخلقه ، يعني ، خلقت الخلائق من شعاع أنوارهم و الخلائق من الأسباب والمسببات كلمات الله كما قال تعالى :﴿ بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ (١) فافهم .

وجعلهم سبحانه أركاناً لتوحيده ، لأن المقام الذي لا فرق بينهم وبين الله إلا أنهم عباده ، هو ظهورهم للعبد بالعبد ، وهم عليهم السلام تلك المظاهر ، كما يأتي في التمثيل بزيد قائم ، فإنه لا فرق بين القيام وبين زيد إلا أنه ظهور زيد بالقيام . فهو محدث هو المقام الذي يعرف زيداً، أي ، لا يعرف زيد إلا به . والمراد ، أن الله سبحانه لا يعرف إلا بتلك المقامات ،وهي لا تتحقق إلا بهم ، وفيهم ، كما أن القائم لا يتحقق إلا بالقيام ، وفي هذا المعنى انظر قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبتة بالكوفة – وبعد أن حمد الله تعالى واشار إلى صفات الله سبحانه وتعالى ، أوصى الناس بالتقوى – قال : اتتوقعون إماماً غيري يطأبكم الطّريق ، ويرشدكم السّبيل؟!(٢). فهم أركان توحيده وآياته كذلك ومقاماته ، وكونها لا تعطيل لها ، لأنها وجه الله كما قال تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ (٣) ،وكون الإثبات لا يكون إلا بالخالق ، لأن ذاته تجل عن إدراك العقول ، وتوهم الأوهام، لأن العقول والأوهام إنما تدرك نفسها ، وتشير إلى نظائرها ، وما ذكرنا من المعرفة هي سبيل معرفتهم التي لا يعرف الله إلا بها (٤)

(١) آل عمران :٤٥.

(٢) انظر نهج البلاغة: ٣٥٣خ ١٨٢ (صبحي الصّالح)

(٣)البقرة:١١٥.

(٤)راجع فكر ومنهج للشيخ عبد الجليل الأمير :٢٨-٢٩

نقل الميرزا محمّد تقي في صحيفة الأبرار كلاماً في هذا المعنى ، حيث قال : روى محمد بن صدقة، أنه سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي ، رضوان الله عليهما فقال : يا أبا عبد الله ، ما معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية ؟قال : يا جندب ، فامض حتى نسأله عن ذلك . قال : فأتيناه فلم نجده قال : فانتظرناه حتى جاء ، صلوات الله عليه ، فقال: ما جاء بكما ؟ قالا جئناك يا أمير المؤمنين، نسألك عن معرفتك بالنورانية ؟ قال : مرحباً بكما من وليّين متعاهدين لدينه،لستما مقصرين، لعمري،أنّ ذلك الواجب على كل مؤمن ومؤمنة ، ثم قال : يا سلمان ، وياجندب ، قالا :لبيك يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام :إنّه لايستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفني كنه معرفتي بالنورانيّة ، فإذا عرفني بهذه المعرفة ، امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك ، فهو شاك مرتاب ، يا سلمان ويا جندب ، قالا : لبيك يا أمير المؤمنين .قال :معرفتي بالنورانية ، معرفة الله عز وجل ،ومعرفة الله عزو جل معرفتي بالنورانية . وهي الدين الخالص الذي قال الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء ويقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾(١) ،يقول :ما أمروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ،وهو دين الحنفية المحمدية السمحة ، وقوله: (**ويقيموا الصلاة**) فمن أقام ولايتي فقد أقام الصّلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب،لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان »(٢)

إعلم ياموالي ، ياسالك، وفقك الله لتحمل آثار أهل بيت العصمة والولاية أنه من المعلوم- كما أثبتناآنفاً-أن للقرآن ظاهراً وله باطن ، بل إلى سبعين بطناً،

(١)البينة :٥.

(٢)صحيفة الأبرار :١/٨٦.

وإنّ هذه البطون لا تدرك عن طريق العقل ، بل بالقلب والبصيرة ، والقلوب أوعيه، وخيرها أوعاها، وكل على حسب قابليته ، وبما أن أهل البيت عليهم السلام عدل القرآن بنص حديث الثقلين المشهور بين العامة والخاصة، فهم أيضاً لهم ظاهرٌ ولهم باطن ، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : «ظاهري إمامة وباطني غيب منيع لا يدرك»[١] فالتفت أيها السالك ، إلى هذه الحقيقة ، وهي : واعلم أن أجسامهم وأجسادهم ، عليهم السلام ، في غاية اللطافة، بحيث لا تدركها الأبصار، بل ولا البصائر ، فقد روي عنهم ، عليهم السلام ، إن الله خلق قلوب شيعتهم من فاضل أجسامهم .وفي رواية : إن الله خلق أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم أو أجسامهم .وفي رواية أن خلق أرواح شيعتهم من فاضل طينتهم أو أجسامهم ، وخلق أرواحهم من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتهم من دون ذلك [٢] وإنما ظهروا للناس بما لبسوا من الصّورة البشرية التي هي محل التغير والتبدل ، وهي صورة كثيفة من العناصر الأربعة [٣] ، التي هي تحت فلك القمر ، وإنما لبسوها ليتمّ ما أراد الله من إنتفاع المكلفين بهم،ولولاها لما قدر أحدٌ من الخلق أن يراهم ، أو يدركهم ، أو ينتفع بهم .

انظرقوله تعالى:﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [٤] وكانت الصورة البشرية، وإن كانت لهم عرضية لأنها ليست منهم ، وإنما هي من آثار آثارهم ، فلما إنتهت الحاجة إليها ، وانقضت ، لم يكن لها فائدة ولا مصلحة ألقوها في أصولها الأربعة، كل في أصله ، فلما ألقوها كشف منهم ما أخفته

(١) راجع صحيفة الأبرار : ٨٦/١. ونقله أيضاً آيه الله الميرزا عبد الرسول الاحقاقي في تفسير الثقلين :٨٣/١.

(٢) أورد الشيخ الكليني رحمه الله في كتابه الكافي : ٣٨٩/١، ٣٩٠ مجموعة من الروايات في خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وأرواحهم وقلوبهم وخلق شيعتهم فراجع.

(٣) العناصر الأربعة: النار - الهواء- التراب -الماء

(٤) الأنعام:٩.

البشرية بكثافتها ظاهراً، فكانوا في أعالي عالم الأنوار ، معلقين في أوائل عللهم من الأمر الذي قام به كل شيء. أورد الشيخ أحمد الأحسائي(رحمه الله) في شرح الزيارة الجامعة ما نصه : ومثال ظهورهم بالبشرية وما بعده مما اشرنا اليه الصورة التي ظهرت منك في المرآة، فإن جرم الشيشة الصّقيل للصورة لمنزلة الصورة البشرية لهم ، أي ، لظهورهم عليهم السلام ، إذ لولا جرم الشيشة ، وصقالته لما ظهرت الصورة ، مع أنها موجودة في ظلك ، وإنما توقف ظهورها على الصورة البشرية التي هي الشيء الصّقيل ، كالمرآة والماء وأشباههما. فالصورة شبحك معلق بك ، مستقر في ظلك ، عارض لك ، لا ذاتي ، لأنه نورك وشعاعك ، فإذا ذهبت المرآة خفي الشبح لعدم شرط ظهوره ، فكان كما كان في أعالي عالم ظهورك الذي هو عالم أنوارك، أي ، أنوار أفعالك معلقاً في أوائل علله من الأمر الذي هو

فعلك ، أي ، ظهورك الذي قام به كل شيء من آثار ذلك الفعل، فافهم [١] .انظر الى قول الله تعالى :﴿ **والشمس والقمر والنّجوم مسخرات بأمره**﴾ [٢]. وفي آية اخرى :﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ [٣] . وقال تعالى:

﴿ **فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب** ﴾ [٤] . وكما لا يخفى عليك أيها الباحث عن الحقيقة أنهم المظهرون لأمر الله ونهية ، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة للإمام الهادي، عليه أفضل الصّلاة والسلام ، والمراد من كونهم المظهرين لأمر الله ونهيه ، أنهم هم العظمة الظاهرة بأمر الله سبحانه ، يعني ، أظهرهم الله لخلقه، ليستدلوا بهم عليه ، انظر تأويل

(١) شرح الزيارة الجامعة : ١٢٨/٣

(٢) النحل : ١٢.

(٣) الرّوم : ٢٥.

(٤) سورة ص : ٣٦.

قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾(١) ، وقوله ((آياتنا)) هم عليهم السلام كما روى أبو القاسم، جعفر بن محمد بن قولويه ، قال: حدثني محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري ، عن أبيه ، عن علي بن محمد بن سليمان ، عن محمد بن خالد ، عن عبدالله بن حماد البصري ، عن عبدالله بن عبد الرحمن الأصم ، عن عبدالله بن بكر الإرجاني ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث طويل ..قال :﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق؟ (٢)

وقوله تعالى :﴿ وفي أنفسهم ﴾ ، أي ، ما ظهر للخلق في ذواتهم من عظمته التي هي نورهم عليهم السلام ، وآيات عظمته في أنفسهم ، وهم، الأنفس ، أي ،الأئمة عليهم السلام فظهروا لذلك باظهار الله عظمةً لا تتناهى في الإمكان ، فبالله هم المظهرون لعظمة الله التي هي أمر الله ونهية، أو فبالله المظهرون لأمر الله ونهيه ، فهم عظمته، وآثار تسلطه ، وهم ، صلوات الله عليهم، المظهرون لأمر الله ونهيه ، أنّ أمر الله ونهية في العلم والحكم والتبليغ والإنذار والإعذار ، وفي العمل لا يظهران إلا منهم وفيهم وبهم ولهم.

أما أنها منهم ؛ فلأنّهم سرُّ الأمر والنّهي ، بمعنى ، أنّهم محالّهما وخزائنهما ومفاتحها ومظهروهما ، وأمّا أنّهما عنهم؛ فلأنّهما صدرا عنهم ، وعن جدهم لقوله تعالى حكاية عن نبيه : ﴿ وأوحي إلَّي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾(٣) أي ومن بلغ منهم أن يكون إماماً ينذرهم به. وأمّا أنّهما فيهم؛ فلأنهم خزائنهما في الصّدور وفي التقوم وفي التعلق . وأما أنهما بهم؛ فلأنّ أعمال العاملين من

(١)فصلت : ٥٣.

(٢)كامل الزيارات لابن قولويه : ٥٤٣ باب ١٠٨ح٢، عنه البرهان : ٦١/٧

(٣) الأنعام :١٩.

جميع الخلائق إنما هي بوجودهم وبأمرهم وتعليمهم وهدايتهم، وأما أنهما لهم ؛ فأن جميع الأعمال الصّادرة من الخلائق عن الأوامر والنواهي ،موافقة ، ومخالفة آثار سلطانهم،اثباتاً ونفياً، وألسنة ممادحهم، والثّناء عليهم بكل لسان طائع وعاص ، فكل طائع يصلي عليهم ، ويتبرأ من أعدائهم ، وكل عاص يقّر بفضلهم، ويلعن أعدائهم ، وهو لا يشعر ، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾ (١) .وفي الزّيارة الجامعة : (**مقرٌ برجعتكم ، لا أنكرلله قدرة ، ولا أزعم إلا ماشاء الله ، سبحان الله ذي الملك والملكوت ، يسّبح لله بأسمائه جميع خلقه ، والسّلام على أرواحكم وأجسادكم ، والسّلام عليكم ورحمه الله وبركاته..**)(٢) .

وفي الكافي الشّريف بسنده عن الدّهقان قال : **دخلت على أبي الحسن عليه السلام الرضا فقال لي : مامعنى قوله تعالى :﴿وَذكر اسم ربه فصلى﴾؟ قلت : كلماذكر إسم ربه قام فصلى ، فقال لي : لقدكلف الله تعالى هذا شططاً، فقلت :جعلت فداك ، فكيف هو ؟ فقال : كلما ذكر إسم ربه فصلى على محمد وآله** (٣) فتدبر إشارته .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام ، أنه قال له رجل : جعلت فداك ، أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى ، وما وصف من الملائكة ﴿ يسّبحون الليل والنّهار لا يفترون ﴾ .ثم قال :﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ كيف لا يفترون ، وهم يصلون على النبي ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام الله : إن الله تبارك وتعالى ، لما خلق محمداً، أمر الملائكة ، فقال: نقصوا من ذكري بمقدار الصلاة على محمد وآله ،

(١) الأنعام : ١٩

(٢) مقطع من الزيارة الجامعة . انظر مصباح المتهجد : ٢٨٩ أعمال الجمعة ، عنه بحار الأنوار : ٨٦/ ٣٣٠.

(٣) الكافي :٢/ ٤٩٤ح١٨.

فقول الرّجل : صلى الله على محمد في الصلاة، مثل قوله : سبحان الله والحمد لله ، ولاإله الا الله والله أكبر (١) .

وروى الكليني ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّوجل : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ .قال :**نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً الا بمعرفتنا** (٢) . فافهم وتفهم ! ما أشاروا إليه ، ولا تفزع مما تسمع .

نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : **إجعلوا لنا رباً نؤب إليه ، وقولوا فينا ما شئتم .**(٣) **وفي رواية اخرى : لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا**(٤) . وغيرها من الأحاديث .

تأملّ في كلمات مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لا بي ذر ، جندب وسلمان الفارسي حينما قال : «**معرفتي بالنورانية معرفة الله**» وقال عليه السلام أيضاً: (**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**) ، فإذا تأملت وفهمت الإشارات ظهر لك معنى كلام أمير المؤمنين ، صلوات الله وسلامه عليه ، في الخطبة التطنجية ، قوله : « **أنا اللوح المحفوظ** »وقوله أيضاً:**أنا آدم ، أنا نوح ، أنا ابراهيم ، أنا موسى ، وأنا محمد ، أتقلب في الصور كيف أشاء، ومن رآني فقد رآهم ، ومن رآهم فقد رآني ، ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك في الناس،وقالوا : هو لا يزول ولا يتغير ، وإنما أنا عبد من عبيدالله عز وجل . لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ، فإنكم لن تبلغوا عن فضلنا كنه ما جعل الله لنا**)(٥) .

(١) مستدرك الوسائل للنوري : ٦٠١٢/٥ ، عن جمال الاسبوع لا بن طاووس : ٢٣٦.

(٢) الكافي : ١٤٣/١ ح ٤ .

(٣) بصائر الدّرجات للصّفار القمي : ٥٠٧ ، عنه بحار الأنوار : ٢٥/ ٢٨٣ ح ٣٠.

(٤) بحار الأنوار :٣٤٧/٢٥.

(٥) انظر صحيفة الأبرار :٨٦/١-٨٨.

وبيان هذا يحتاج إلى كشف بعض الأستار ، ونشير إليه على سبيل الاجمال - حسب ماأورد الميرزا محمد تقي في صحيفة الأبرار :

إن الأخبار تواترت في أن الله تعالى خلق محمداً و آل محمّد ، وخلق من أشعة أنوارهم ، وفاضل طينتهم الأنبياء وساير الخلق ، وهذا أيضاً مما لا ينكر ، فإذا أردنا تصوير ذلك بالتمثيل الشهودي ، كان نورهم عليهم السلام كقرص الشمس ، وساير الخلق من الأنبياء وغيرهم ، كالأشعة الواقعة منها في المرايا المقابلة لذلك القرص ، فإنها كلها أثر الشمس ، لا ذاتها فإنّ ذاتها في الفلك الرابع ، ولم تنزل إلى الأرض ولا ريب في أن الأشعة المرآتية تختلف بحسب إختلاف المرايا في الصفاء والكدورة ، الأعوجاج والإستقامة ، هي مثل إختلاف قابليات الخلق في قبول الوجود منيرهم ، فكلّما كان من المرايا قابليته أصّفى وأقوم ، كان الشعاع الواقع فيه بالشمس أشبه ، وكلّما كان أعوج كان بعيداً عن الشباهة، ولا يحكم عليه أنه صورة الشمس ، لبطلان المشابهة ، بسبب شدة الإعوجاج ، فيرمى خارج العالم ، وهو مثال المدبرين عن مبدأ الحقّ ، والأول مثال المقبلين كلٌّ على حسب قابليته ،لمّا كان الأنبياء عليهم السلام أقرب الخلق إلى مبدأ النّور ؛ لصفاء قابلياتهم الذاتية نوعاً، وإختلاف أفرادهم أيضاً في الشّدّة والضعف، وكانوا أشبه الخلق بأنوار محمد وآله ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وأشد تعلقاً بهم في ساير الخلق نوعاً، وإذ تقرر هذا فارجع إلى مثالنا المفروض ، وسمِّ كلاً من الأشباح الشّعاعية الواقعة في المرايا المستقيمة ، الصّافية،الشبيهة بقرص الشّمس بإسم ، وليكن أحدها(أ)والآخر (ب)وآخر (ج)وآخر(د)وهكذا . ويصح للشمس أن تقول : أنا(أ) وأنا (ب) وأنا (ج) وأنا (د).وتريد بها الصورة الشبيهة بها، وكذا تقول : من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم ، وأنا الذي أتقلب في تلك الصور كيف

أشاء، وذلك لأنها كلها صادرة عن إشراقها وقائمة بها قيام صدور، فالصور صورها وهي أولى بها من نفسها، لأن المنير أولى بالشعاع من نفس الشعاع، لأنّ له الولاية عليها ، هذا مع أن الشمس في ذاتها منزهة عن الشوب بالصور ، بمعنى ، أنّها لم تحلل فيها فيقال:هي فيها كائنة ، ولم تناء عنها فيقال: هي منها بائنه.فكما يصح هذه الأمور في الشمس ، كذلك يصح في ولي الله المطلق، الذي خلق الأنبياء من رشحات وجوده وأشعة نورة أن يقول : **أنا آدم ، أنا نوح ، أناإبراهيم ، أنا موسى ، أنا عيسى ،أنا ذو القرنين ، وهكذا أتقلب في الصور ، كيف أشاء ، ومن رآني فقد رآهم ، ومن رآهم فقد رآني** وأما قوله عليه السلام : **ولوظهرت للناس في صورة واحدة الخ** ،فيريد عليه السلام أن يقول أني لو ظهرت في عالم الشهادة بنفسٍ من أول الأمر إلى آخر الدّهر ، ودعوت الخلق إلى الله بنفس ، لقيل : هو لا يزول ولا يتغير ، لقصور عقولهم ، وضعف أفهامهم ، فاقتضت الحكمة أن أقف بنفس في عالم الغيب في أوّل الأمر، وأدعو دعوة الله عز وجل في كلّ عهد ، في هيكل من هياكل النبوة وأظهرها منها.فتارة في آدم ، وأخرى في نوح، وهكذا ، ومع ذلك فأنا المهيمن على الكلّ، وهم حجبي ، وأمثالي ، وأبدالي ، وإنما صاروا أنبياء مبعوثين ، لمشابهتهم لي في الصّور الوجودية التي هي هيكل التوحيد المخطط بخطوط الإنسانية، التي هي أعدل الهياكل وأحسنها تقويماً، فصار أمرهم أمري ، وحكمهم حكمي ،ورؤيتهم رؤيتي .

فافهم.....

وقوله عليه السلام : «**أنا أحي واميت**» . يراد به ، أن الإحياء والإماته إلي بالكلية ، وهذا أيضاً مما لاينبغي أن يتوقف فيه شيعي ،فكما يصح لإسرافيل أن يقول : أناأحي النفوس، ولعزرائيل أن يقول : أنا أميتها ، ولا يلزم منها أن يكونا إلهين من دون

الله ، لأنهما حاملان أمر الله ، وليس لهما إستقلال في ذلك ،كذلك يصح لمن جعل الله الملائكة خدامه وعبيده ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون[١] ، أن يقول مثل ذلك ، وينسب هذه الأفعال إلى نفسه بالطريق الأولى ؛ لأنّه الواسطة الكبرى في ذلك . فجعل الله قلبه وعاءً لمشيئته ، ومهبطاً لإرادته ، به يفعل مايشاء ويحكم ما يريد .

وقوله : «**أنا الذي حملت نوحاً في السفينة ...**» معناه: أنّ الأنبياء بالاستشفاع بنا، والتّوسل بأنوارنا، رفعت المكاره والفتن، كمادلّت عليه الأخبار الصّحيحة الصّريحة.[٢]

فتمسك بهذه المعرفة التي أشار أمير المؤمنين لأنها ملاك المؤمنين عليه السلام الّذين محضوا الإيمان محضاً ، فكلما إزداد المخلوق معرفة بهم ، إزداد إيمانه ويقينه بالله تعالى، وصار طاهراً مطهراً محبوباً لله سبحانه وتعالى، وانظر إلى كلام أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه :«**ياسلمان ، وياجندب ، قالا :لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : من آمن بما قلت ، وصدق بما بينت ، وفسرت ،وشرحت ، وأوضحت ونورت ، وبرهنت فهو مؤمن ممتحن ، أمتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وهو عارف مستبصر ، قد إنتهى وبلغ كمل ، ومن شك ، وعند وجحد ،ووقف وتحيّر ، وارتاب فهو مقصر وناصب**»[٣].

---

(١) اقتباساً من قوله تعالى من سورة الأنبياء الآية : ٢٧.

(٢) راجع صحيفة الأبرار : ١/٨٩-٩٠.

(٣) انظر صحيفة الأبرار:١/٨٨.

أيها الخليل لقد إنتهى الكلام وانقطع الخطاب ، اطفئ السّراج فلقد إنبلج الصّبح ...

اللهم كن لوليك الحجّة بن الحسن صلواتك عليه وعلى ابائه في هذه السّاعة وفي كلّ ساعة ولياً وحافظاً وقائدا وناصراً ودليلاً وعيناً ،حتى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه فيها طويلاً.

والحمد لله رب العالمين ، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من المتبصرين العارفين بهم حق المعرفة ، وزادنا ثباتاً وولاءً لهم، إنه قريب مجيب ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

كتب هذا السّفر أقل الناس علماً وفهماً وعملاً

الأحقر بدر فاضل المبارك تجاوز الله عن سيّئاته

عصر يوم الجمعة ٢٦ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ على مهاجرها وآله الآف التحية والإكرام.

فهرس المصادر

١ـ القرآن الكريم
٢ـ نهج البلاغة للإمام عليّ عليه السلام
٣ـ إتحاف السّادة المتقين للزبيدي
٤ـ الاحتجاج للطبرسي
٥ـ إحقاق الحق للتستري
٦ـ ارشاد القلوب للديلمي
٧ـ الأسرار المرفوعة للهروي
٨ـ الإسلام في ايران مشاهد روحية وفلسفية للرشتي
٩ـ اصول الكافي للكليني
١٠ـ إقبال الأعمال لابن طاووس
١١ـ أمالي الصدوق
١٢ـ الامامة وقيادة المجتمع للحائري
١٣ـ الأنوار النعمانية للنعماني
١٤ـ بحار الأنوار للمجلسي
١٥ـ بحث الولاية من وحي القرآن للميرزا عبد الرسول الاحقاقي
١٦ـ بصائر الدرجات للصفار
١٧ـ البلد الأمين للكفعمي

١٨ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
١٩ـ التّبيان في تفسير القرآن للطوسي
٢٠ـ تفسير الأمثل لمكارم الشيرازي
٢١ـ تفسير البرهان للبحراني
٢٢ـ تفسير الثقلين للميرزا عبدالرّسول الاحقاقي
٢٣ـ تفسير شبّر
٢٤ـ تفسير الصّافي للفيض الكاشاني
٢٥ـ تفسير العيّاشي
٢٦ـ تفسير القمّي
٢٧ـ تفسير كنز الدّقائق للميرزا محمّد المشهدي
٢٨ـ تفسير الميزان للطباطبائي
٢٩ـ تفسير نور الثّقلين للحويزي
٣٠ـ تنزيه الشريعة لابن عراق
٣١ـ الحاوي للفتاوى للسيوطي
٣٢ـ حلية الأولياء للأصفهاني
٣٣ـ جمال الاسبوع لابن طاووس
٣٤ـ جوامع الجامع للطبرسي
٣٥ـ الدّر المنثور للسيوطي
٣٦ـ رسائل الشّيخ حسن زاده آملي
٣٧ـ رسائل المرتضى

٣٩ـ الروضة للكليني
٤٠ـ سلوني قبل أن تفقدوني للحكيمي
٤١ـ السّير والسّلول للرشتي
٤٢ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرةللاحسائي
٤٣ـ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
٤٤ـ صحيفة الأبرار للميرزا محمّد تقي
٤٥ـ الصّواعق المحرقة لابن حجر
٤٦ـ ضياء الصّالحين للجوهرجي
٤٧ـ علم اليقين للكاشاني
٤٨ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق
٤٩ـ الغيبة للشيخ الطوسي
٥٠ـ فرائد السمطين للحموينى
٥١ـ فصوص الحكم لابن عربي
٥٢ـ فكر ومنهج للشيخ عبد الجليل الأمير
٥٣ـ الفوائد المجموعة للشوكاني
٥٤ـ كامل الزيارات لابن قولويه القمي
٥٥ـ كشف الخفاء للعجلوني
٥٦ـ لسان العرب لابن منظور
٥٧ـمستدرك الوسائل للنوري
٥٨ـ مصباح المتهجد للطوسي

٥٩ ـ مصباح الكفعمي

٦٠ـ مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي

٦١ـمفاهيم القرآن للسبحاني

٦٢ـ مفردات الفاظ القرآن للراغب الأصبهاني

٦٣ـمن لا يحضره الفقيه للصدوق

٦٤ـالمناقب للخوارزمي

٦٥ـ مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب

٦٦ـمنطلقات البحث العلمي

٦٧ـ مهج الدّعوات لا بن طاووس

٦٨ـ الولاية التكوينية بين الكتاب والسّنة لهاشم العاملي

٦٩-ينابيع المودة للقندوزي

فهرس الموضوعات

هويّة الكتاب..... ٢
مقدمة النّاشر..... ٥
الاهداء..... ٧
مقدمة المؤلف..... ٩
متن الكتاب..... ١٠
اليقين من حيث حقيقته وآثاره..... ١١
مراتب المعرفة..... ١٣
الولاية التكوينية المطلقة..... ١٩
الحقيقة النورية للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام..... ٢٥
معراج الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله..... ٢٩
طلب المشركين للمعجزة..... ٣١
حقيقة طلب المشركين..... ٣٣
وظيفة النبي والإمام..... ٤٣
حقيقة علم الإمام عليه السلام..... ٤٧
يقين السالك..... ٤٩
درجات اليقين..... ٥١

طريق السّالك لمشاهدة الملكوت..... ٥٣
تلقي النبي ﷺ لحقائق القرآن الكريم..... ٥٥
درك الحقائق القرآنية عن طريق البصيرة..... ٥٧
نزول القرآن على نحو التّجلي..... ٥٩
لايمُسّ القرآن إلا المطهرون..... ٦١
معنى الطّهارة..... ٦٣
الرجس المعنوي والمادي..... ٦٥
في معنى الرّجس والطهارة..... ٦٧
من عرف نفسه فقد عرف ربه..... ٦٩
جبرائيل عليه السلام خادم أهل البيت عليهم السلام..... ٧١
المراد من القلب السّليم..... ٧٣
مدار السّعادة على سلامية القلب..... ٧٥
قصة الذّبيح اسماعيل عليه السلام..... ٧٧
قرب آل محمّد عليهم السلام من الله تعالى وانصهارهم في محبته..... ٧٩
معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية..... ٨١
انّهم عليهم السلام المظهرون لأمر الله ونهيه..... ٨٣
مقاطع من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : أنا آدم..... ٨٧
قوله عليه السلام :أنا أحي وأميت..... ٨٩
فهرس المصادر..... ٩١
فهرس الموضوعات..... ٩٥

اشارة

من الطاف آل محمّد صلوات الله عليهم اجمعين

عزيزي الموالي . هذا الكتاب الذي أقدمه بين يديك هو من الطاف آل محمّد ، صلوات الله عليهم علّي . فخادمكم عندما عزم على كتابة هذا الكتاب وبدأت فعلاً باعداد المصادر وترتيب المعلومات لكتابة الكتاب في فترة استمرت أكثر من تسعة أشهر وعندما وصلت إلى المرحلة النهائية عرضته على مجموعة من العلماء والفضلاء منهم ، الميرزا صالح الاحقاقي- حفظه الله - وأتحفنا ببعض الملاحظات القيمة حول الكتاب ، وأمرنا بعرض الكتاب على بعض الاخصائيين لتنقيح الكتاب وإعداده ، وفعلاً عرضنا الكتاب على سماحة الشيخ المحقق عبد الكريم العقيلي - حفظه الله - فأشرف على إعداد الكتاب وترتيبة مشكوراً وطيلة هذه الفترة وأنا مغمور بألطاف محمد وآل محمد عليهم السلام.

أنقل لك يا موالي، يا شيعي هذه الحادثة التي حصلت لي أخيراً وأنا في طريقي إلى زيارة المولى علي بن موسى الرّضا عليه السلام واخته السيّدة المعصومة عليها السلام ، فعندما عزمنا على السفر أنا وصديقي الفاضل علاء الحواج (حفيد العلامة الأوحد المرجع آية الله العظمى الميرزا عليّ الأحقاقي(قدس سره) وقبل السفر أعطينا صدقة قربة الى الله تعالى وركبنا الطائرة وقرأنا بعض الأدعية والزيارات ، وبالأخص حديث الكساء، ومنظومته للسيّد محمّد ابن العلامة السيّد مهدي القزويني الحلي النجفي رضوان الله عليه فكان الأخ الفاضل علاء الحوّاج يردد

أبيات هذه المنظومة وأنا استمع إليه وأغلب حديثنا كان حول فضائل أهل البيت عليهم السلام وأثناء نزولنا من الطائرة ، استأجرنا سيارة أجرة من المطار إلى بهشت زهراء قاصدين زيارة مرقد المرجع الأعلى آية الله العظمى الميرزا حسن الأحقاقي قدس سره وفعلاً زرنا قبره الشريف ودعونا للأخوة المؤمنين جميعا، وبعد ذلك توجّهنا إلى مدينة قم المقدسة لزيارة السيدة المعصومة بنت موسى بن جعفر عليهم السلام وفي الطريق أخذ سائق الأجرة يقود عجلته بسرعة جنونية ، وحصلت له مضايقة من إحدى الشاحنات الكبيرة وكان الطريق فيه إرتفاعاً وانخفاضاً وعلى أثر ذلك وغيره انقلبت العجلة عدة مرات ، ونحن داخلها وكنّا نتشهد وبأعلى أصواتنا وفعلا شاهدنا الموت بأم أعيوننا ونحن ننتظر اللحظة التي تخرج فيها الروح وفي هذه الأثناء أخذنا نكرر وبلا شعور قول لا إله إلا الله ، وبعد عدة انقلابات استقرت العجلة بأعجوبة بالغة وأخذ كل واحد منا ينظر إلى صاحبه ، وارتفعت أصواتنا بالصلاة على محمّد وآل محمّد وخرجنا من هذه الحادثة بسلام بفضل ألطاف محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

هذا يا أخي الموالي ، السالك على طريق أئمة الهدى عليهم السلام درس عملي لي ولأخي الفاضل علاء الحواج وإشارة وتنبيه لمن ألقى السمع فهو شهيد ، فإن علينا جميعا التمسك بالعروة الوثقى المتمثلة بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

فهم سفن النجاة من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك .

المؤلف

إصدارات مؤسسة بنت الرسول ﷺ

لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

١-كرامات الأبرار للشيّخ عبد الكريم العقيلي.

٢-لماذا اخترت مذهب أهل البيت عليهم السلام للشيخ الأنطاكي .

٣-ظلامات فاطمة الزّهراء عليها السلام للشيخ عبد الكريم العقيلي .

٤-الملاحم لابن المنادي .

٥-القول المختصر في علامات المهدي المنتظر عليه السلام لابن حجر الهيتمي .

٦-شذرة عصمتيّة في سرّ ليلة القدر الفاطميّة للشيّخ عبدالكريم العقيلي.

٧-دروس في أسرار الصّلاة على محمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم للشيخ عبد الكريم العقيلي

٨-وظائف الشيعة لزوّار ومجاوري فاطمة عليها السلام الشّفيعة للشيخ عبد الكريم العقيلي .

٩-علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام (المختصة بالمواقيت والأزمنة) لأمجدعبد الملك السّاعاتي.

١٠-التفويض للميرزا موسى الاسكوئى الحائري.

١١-الصّوارم القاطعة والحجج اللامعة في إثبات صحّة الزّيارة الجامعة للشيخ عبد الكريم العقيلي.

١٢-عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبدالوهاب .

١٣-سر وقعة الطف للسيد كاظم الرشتي .

١٤-أسرار الخطبة الغراء لمولاتنا فاطمة الزهراء ، صلوات الله عليها ، للشيخ عبد الكريم العقيلي .

١٥-أنوار السالكين لبدر المبارك.

١٦-الحقّ هم آل الرّسول عليهم السلام لزمزم القطان.

١٧-سّر الخطاب في الكتاب من الكتاب للشيخ عبد الكريم العقيلي .

وسيصدر قريباً عن المؤسسة ان شاء الله تعالى

١- الفتن لنعيم بن حماد .

٢- فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر للمرعي بن يوسف .

٣- شرح دعاء البهاء للشيخ عبد الكريم العقيلي .

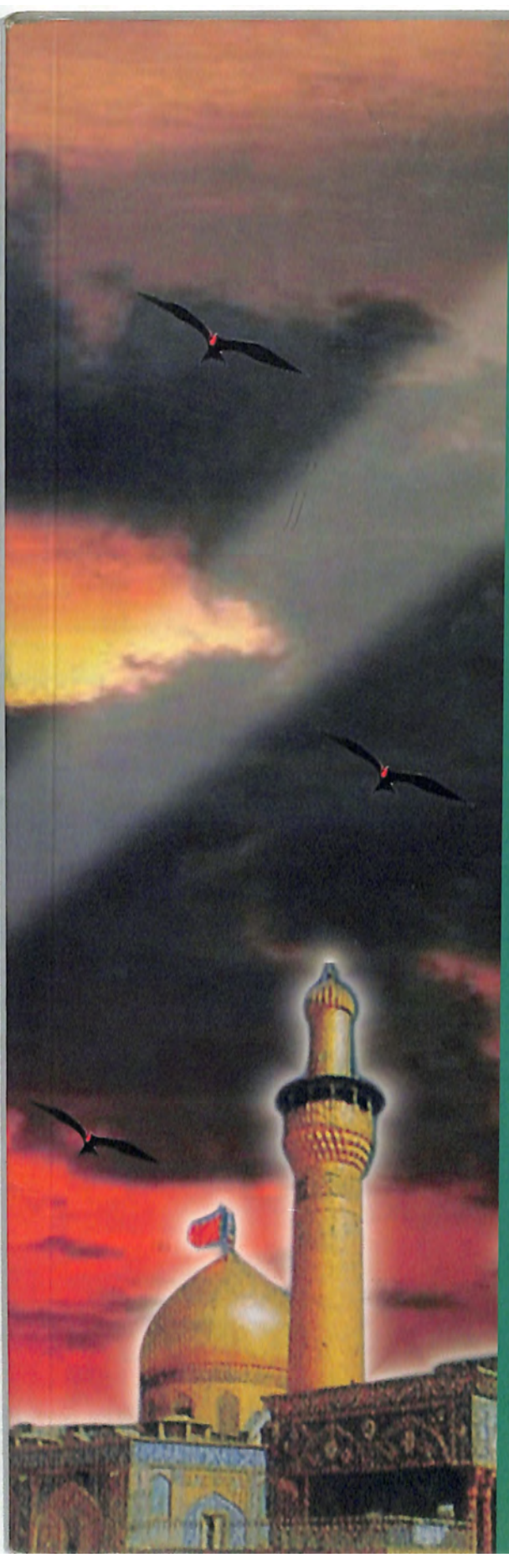

منشورات
مؤسسة بنت الرسول
لإحياء تراث أهل البيت (ع)
الإصدار رقم (١٥)